الباب الثانى

أوراق مبعثرة على طاولة الميراث

المقال الأول
بداية طريق

ذات ليلة ومع ضوء القمر يستعد أن يغادر وتظهر شمس يوم جديد، وبدأ الجميع يتجه إلى مسجد القرية، فى ليل صفته السكون، حتى أنك تسمع حفيف الأوراق إذا ما اشتدت الريح، وها أنا قد انتقلت إلى المرحلة الثانية من تعليمى، وبدت ملامح وجهى تتبدل، وصوتى وقامتى، و كأننى أصل إلى قامة النخل هكذا استشعرت، ولكن لاحظت أن هناك أصواتا ليست كباقى الأيام، صوت مياه تتدفق، وكان هذا معتادا من أهل جنوب مصر، فهم معتادون على فيضان النهر، وكم من مرة كنت أتجه إلى شجرة التوت الموازية للنهر، فمنها أحاول التقاط بعضا من الثمرات، واجمع الأوراق كى أغذى بها ديدان القز التى كنت أربيها، كنت أقطعها بيدى أو أجمع منها المتساقط على الأرض، ولكن هذه المرة كان الفيضان شديدا فسمعت هرولة كثيرة، وبدا يعلو الصراخ، وفجأة رأيت من فى البيت يهرعون كل يحمل أشياء وكأنه يوم الهروب العظيم، ولكن جدتى لم تتحرك، وقالت: هذا كل عام يحدث ماذا جرى، فلنا معه كل عام حكاية وتغنت على صافرة جدى، وتغنت بأعذب الكلمات :

هزل الحرف من فيض كمن فاض باقى العمر

عزانا النهر كل عام راقصنا ألحانا من الحزن

نشتل من النهر عشقا وكم من شتل قوة عدم

فقلت: لم يا جدتى تقولين هكذا؟ فقالت يا بنى، أخشى ما أخشاه الأوراق التى أجمعها فى صندوقى العتيق، فى ذات الغرفة التى تقع يمين المدخل والتى أضع فيها كل ما أحتفظ به من صكوك جدك، و أوراقه، فقلت لها: يا جدتى ألهذا الحد يكون الصندوق بالنسبة لديك ذا أهمية؟ فقالت: يا بنى

ليس المهم الصندوق، المهم ما بداخله، وأخاف أن تمتد إليه يد العابثين فتغير فى صك أو تزور حقيقة فأعلم يا بنى أن أسوأ ما فى الصكوك تغيير ملامحها أو ادعاء فقدانها، وطمس الحقائق من سجلات تثبت حقوق الآخرين، وإن ضاعت الحقوق انتشر الباطل وصارت الحقائق مزيفة، فقلت لها تصعبين على الآمر يا جدتى، ما خطورة ما فى الصندوق، فقالت لى: يا بنى إن أعمامك و عماتك و حتى أبوك رغم طيبته التى أخاف عليه من أخواته منها فما ان انتقل إلى رحمة الله لربما تحدث المشاكل بينهم جميعا، وخاصة وأنت تعلم أن جدك قد تزوج أربع مرات، وله من أعمامك وعماتك غير الأشقاء، تذكرت هنا قصة سيدنا يوسف وكيف كان الخلاف بين أخوته، وكيف كان حب أبيه له عن أخوته، وكيف كان هذا له أثر فى نفوس الآخرين، فقلت لها: يا جدتى أتخافين على الميراث؟ فالله يرث الأرض ومن عليها ونحن لا نملك فى الدنيا، نحن أمناء على ما لدينا ولا نملك شيئا، فقالت لى: رغم صغرك إلا انك تفهم كثيرا وهذا ما سيتعبك يوما ما، فقلت لها كيف يا جدتى؟ فقالت: إن كثيرا من الكذب يُصدق، وإن الصدق يُكذب، فإن لاحظت ذلك فاعلم أن من حولك يذهبون إلى البيوت المغيبة، فقلت لها: وما البيوت المغيبة؟ قالت: البيوت المغيبة هى البيوت التى يزينها الشياطين، أما سمعت يا بنى **{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}. – فاطر٨.**

فقلت لها: ألهذا الحد يا جدتى الكل يتصارع، على ما يتركه الآباء، قالت: يا بنى ليست القضية فى صراع الأخوة، فقلت لها: إذن كيف يكون الصراع؟ قالت: يا بنى، إن الصراع يأتى من الدخلاء، فقلت لها: وما هم الدخلاء؟ فكثير من الرجال لا يفهمون إلا من رحم، قالت يا بنى أنت كما ترى، كل من أعمامك وعماتك لهم أزواج وزوجات، وكل منهم فيما بينهم أمور متداخلة، فكل منهم يعتبر نفسه جزءا من الآخر وهذه حقيقة ولكن ليس أىٌّ منهم حق على الآخر فيما يملكه من ميراث، فلا يجوز تدخل ما لا يملك فيما لا يستحق، يكفى النصيحة البارة، وليست النصيحة الجائرة، إن النصائح الجائرة فى ميراث ما لا نملك لهى الجور العظيم، يا بنى أخاف على أولادى من بعدى، فقلت لها: يا جدتى لا تخافى، طالما أنت قد زرعت بداخلهم

العلم. فقالت لى: ما يكفى العلم، إن العلم الذى يغرس فى الصدور ان خلا من الحب كالفرع اليابس يسهل كسرة، وان التقوى لهى طريق النجاة. فقالت: يا بنى هناك من الشياطين الكثير، ألا تعلم الآية **{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً}. النساء ٩** فقلت لها: وما الخوف يا جدتى، ولكن قولى لى ماذا بالصندوق؟ فقالت: رغم صغر سنك سأخبرك، بداخل هذا الصندوق حجة البيت والأرض ووصية جدك، فقلت: يا جدتى ماذا يعنى الميراث؟ فقالت يا بنى إن الميراث يعنى ما يتركه الميت من عقار ومنقولات لورثته، وهذا الإرث وجب علينا حصره، وحصر الإرث يكون بتعيين الأشخاص الذين يحق لهم وراثة المتوقى، ويصبح الإراث وهو جمع إرث يوزع بين الورثة، فقلت لها وكيف يكون يا جدتى فقالت، هو أمر ليس بهين، فقلت لها: علمينى يا جده، وهل لى أن أسألك؟ فقالت: سل. فقلت لها: ما ميراثك أنت من ذلك؟ فقالت لى: اقرأ معى **{وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أو دَيْنٍ}**.(**النساء-١٢**).فقلت لها: وما نصيب عماتى؟ فقالت: يا بنى إن الله شرع ميراثا للبنات فى ميراث أبائهن فاقرأ معى **{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}. (النساء: ١١)**، فقلت لها: يا جدتى لم لا يتساوى ميراث البنت مع الولد؟ فقالت: يا بنى ان حظ الرجل منسوب إلى حظ الأنثى فى الميراث، وليس العكس، فإن الذكر مطلوب له زوجة ينفق عليها، والأنثى مطلوب لها ذكر ينفق عليها، فنصف حظ الذكر يكفيها إن عاشت دون زواج، وان تزوجت فإن النصف الذى يخصها سيبقى لها، وسيكون لها زوج يعولها. فالأنثى أكثر حظا فى القسمة، ولذلك هى الأصل فى مقياس الميراث. فقلت : ولكن يا جدتى قد لا يكفيها ما تحصلت عليه، فقالت: اسمع يا بنى إن الإرث لا يعنى إرثا فقط فيما ترك ولكن الإرث الاجتماعى أقوى من الإرث المادى، يا بنى لقد أغفل الكثير صلة الرحم، فليس الميراث هو آخر علاقة بين الأخوة ليتفرقوا بل لو تعمق الرجل تحديدا فى دوره لصلة الرحم لأتقى الله فى أخواته البنات، إن الرجل هو صلة الرحم، والأنثى هى الجانب الضعيف فهى طوع زوجها، فإن صلة الرحم واجبة على الرجل فعلى الأخ أن يودها ويزورها ويجاملها ولأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها فقد اقتطع جزءا معلوما من حقها وأضافه

إلى الأخ كأمانة فى ميراثه، فان فى ميراث الأخ أمانه أو وديعة عنده ليرده إليها هى أو غيرها من الأخوات فقد تتعرض لمشاكل الحياة مع زوجها أو مع أولادها فيكون لها سندا وليس هذا تفضلا منه للإنفاق على أخته، ولا من رزق أولاده، لكن من نصيبها الذى أضافه الله عز وجل له فى التوريث ويكون قد ترك عنده حقا يقابله حق عليه، وإن لم يفعل سوف يحاسب عليه لأنه أكل الحق وقاطع للرحم (الرحم اشتققته من اسمى من وصله وصلته ومن قطعه قطعته)، فقلت لجدتى: هذا عدل يا جدتى فيا ليت الرجال يعلمون. فقالت قولتها الشهيرة : إن من يعلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات فليبحث عن سر النساء وأرحامهن، ومن يتق فى النساء خيرا فقد أصاب آخرته، فقلت لها: يا جدتى لقد تعبت، ودعينا نستكمل غدا. فقالت: ولك ما أردت بل لتعلم أنه ديننا يا بنى ودستورنا، فمن خرج عن الدستور ودينه فقد تعدى حدود الله فاقرأ، **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)}**. (النساء ١٣– ١٤).

المقال الثانى
خوفا من حب

تمتمت جدتى فى نفسها بكلمات الشعر وأنا أصغى إليها، وترسم بعصاها على الأرض، فقلت لجدتى معلمتى: لم الدوائر؟ فتقول لى: ما إن عبرت الدنيا فأنت فيها دائر واحذر من أن يكون فيك الحق جائرا، يا بنى إن المنية مرافقة لك، مهما سارت بك الأقدام فإن جاء وقتك فقل هذه الدنيا وهذا ما أستحق من قدر، فقلت لها: يا جدتى، هل الحب بين الأهل مداده يكفى ؟ فقالت: يا بنى إن المداد فى الدنيا وان ملأت به مدواتك فكلمات البشر دوما بنقص، وكلمات ربى ما تنفد، فاستمع إلى وأصغ، إن الأرض قد هبطنا إليها، ويا له من إثم، فاستمع لقول ربك: **{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}. (مريم: ٤٠)**، ومازالت جدتى تعيد فى أبياتها.

يا خوف النفس من أمسى والفقر فينا فقر كبير بالنفس
الغنى كفاف بالنفس يكفى وطمع النفس بأرض ما يكفى
قل للزمان هل الحب يبقى ففى القلوب خوف بعين تبدى
لا خوفا من منية تلازمنى فالمنية كالظل فى العظم واللحم
هذا جائر فناظر فى حقى وهذا منتظرا منيتى فيأخذ حظي

قلت لها: يا جدتى، أراك تشعرين بالخوف هل خوف على فراق أم ماذا؟ فقالت يا بنى، إن الحقائق مغيبة خلف الأجساد التى تغطينا، فإن غادرت الأجساد الدنيا ظهر لنا ما نخفى، والخوف عندى هو الخوف على نقصان بحب، فإن غادر الحب أجسادنا، ما عاد للرحم بيننا من صلة ولا رحم، وهذا ما أخشاه، فقلت: يا جدتى فليأخذوا ما يريدون، فقالت: يا حسرة على

النفس، فكل نفس مولود به آفة تزيد من الطمع، فقلت لها: يا جدتى أنت أحسنت التربية فهل هذا يكفى ؟ فقالت: يا بنى ما يكفى ما نتعلم، فإن فى أعراقنا ونسلنا طباع ما يتخلى عنها الصلب من نسب، «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»، فقلت: يا جدتى ما تخوفك فقالت، يا بنى لقد أطلعتك على ما بالصدوق ولكن فى الصدور بيننا كثيرا ما نخفى، فليس كل ما بالصندوق من مواثيق وعهود تكفى، فقلت لها: تحاورينني يا جدتى، وما عدت قادرا عن سؤال ولا فهم فقالت: هناك قصة قديمة حدثت حين كان جدك يمتلك الأرض، فإن هناك نزاع على أرض مجاورة وغير مستصلحة، قمنا بضمها إلى الحيازة، ولكنها غير مسجلة، وقد كلفنا زوج عمتك بزراعتها، إلا أنه مات، فكلفنا شخصا آخر، فتحايل على عمتك، وهذا خطأ الرجال أعمامك، يا بنى إن خلا الرجال من حماية الأنثى فإن الذئاب تأكل المرعى، وكيف استحل يا جدتى هذا الشخص، هذه الأرض فقالت: قام بالتزوير فى ملكيتها، ثم أتبعت قولها فقالت : يا بنى من السهل شراء الضمائر وتغيير الذمم، فى شراء الأوراق، فالأوراق لا تضمن حقا، طالما يخطها قلم غير عادل ولسان كاذب يملى إفكا بغير حق، ونحن فى انتظار العدل من السماء، ثم سكتت جدتى برهة من الزمن فتلت الآية **{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}.٤٠ سورة مريم**، وسكتت لحظات وعاودت الحديث: يا بنى كلنا مجموعون لميقات يوم معلوم على منصة العدل، إن البشر يا بنى ينسون الحقيقة ويتغافلون فيما بينهم، بل على أنفسهم، وكأن الدنيا لهم مخلدة فكلهم عائدون وفى الدنيا مغيبون. وغفت جدتى غفوة حسبت أنها أصابها أذى أو مكروه فقلت: يا جدتى، فتنبهت وقالت تردد آيات القرآن: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}. (١١٥)** ثم اتبعت جدتى كلماتها يا بنى، لقد استحل الناس فيما بينهم ما لا يملكون طمعا فى مال زائل واعتقادا منهم انه يحميهم من الزمان وما فيه من مفاجآت، واعتقادا منهم أنهم بهذا يضمن كل منهم أنهم فى منطقة الأمان، فمن ضمن يا ولدى حياته ولو بعد لحظة واحدة، أنسى البشر قول الله تعالى **{نحن نرزقهم وإياكم}**. و **{نحن نرزقكم وإياهم}**. يا بنى إن البشر يهمس الشيطان دوما فى آذانهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وأن الشيطان قد زين لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل، إن علاقة البشر بالبشر يا

بنى هى علاقة أرزاق فلا يعلم أى رزق لمن وعلى من؟ فإن قسمة الأرزاق ضمان رب العالمين وليست ضمان بشر، وأن الخوف من الغد لهو همس الشيطان من ضعف إنسان متولد.

وفجأة وجدت جدتى تعتدل وتركن إلى جانبها وتقول: دعنى آخذ غفوة، وأكمل لك الحديث عمن يأخذ حقوق الآخرين عنوة وبدون وجه حق وماذا أعد له فى الآخرة، فقلت لها: إذن للغد يا جدتى.

المقال الثالث
فحيح الطمع شريان الشراهة

أسرعت إلى جدتى، حيث كانت تجلس، ووجدت وجهها متجهما، فقلت ما عساك يا جدتى، فأشارت إلى صندوقها الخشبى، ففهمت، وقلت لها: أتريدين منه شيئا؟. فقالت لى: ليس الآن، فقلت لها: يا جدتى انتهينا بالأمس على أن قسمة الأرزاق ضمان رب العالمين، وليست ضمان بشر، وأن الخوف من الغد لهو همس الشيطان من ضعف إنسان متولد، فقالت: وهنا تكمن القضية يا بنى، انه همس الشيطان، الذى يهمس باطلا، وإن أول من يتخلى عن المرء الظالم يوم القيامة شيطانه، ان الشياطين تملك أن تنفث، ويتبعها البشر فى غباء محكم، محنكين دون عقل يفكر، ويقادون كالأنعام، يا بنى إن الإغواء طريق شيطان فمن تبعه فقد هوى، فقلت يا جدتى أراك حزينة، قالت ولم لا أحزن وارى فى عيون من حولى الكثير، إن الطمع والغواية ضلال كالجراد إذا احتنك الزرع ذهب به كله، وهذا ما أخاف عليه من خلاف الأشقاء، وسأسرد عليك قصة هى قصة تحمل عنوانا هو همس فى باطل، هل تعلم جارنا، فقلت: أى جار يا جدتى؟ فنحن يحيط بنا عم اسكندر من الجهة اليسرى وعم عرفان من الجهة اليمنى، ومن الجهة المقابلة لنا عم لمعى، وخلفنا عم شاهين، فقالت: يا بنى اقصد عائلة عرفان، فقلت: ما بهم يا جدتى؟ فقالت: لقد تزوجت ابنتهم أحلام زوجا يتقى الله فى كل خطوة يقم بها، وقد أراد هذا الزوج أن ينفصل عن بيت عم عرفان لأنه يحب الاستقلالية، فاستأجر بيتا وعاش حياته مستقلا، إلا أن أخوات أحلام لم يحسنوا معاشرته ولا معاملته، فقام أحدهم واستحل لنفسه أرضا هى فى الأصل من مال زوج أحلام، وهذا الزوج نظرا لسفره المتعدد، فترك الأمر إلى شقيق أحلام، وطالت الأيام يا بنى، ولم يعط هذا الشقيق نصيب زوج أحلام لا أصل المال ولا الأرض، وقد استحل لنفسه المال والأرض، ونسى أن ما فعله هالك، وأريده أن يأتى يوما

ليسدد ما عليه قبل، لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم، فقلت: قصى لى يا جدتى وأعلمينى، فقالت يا بنى : يا بنى إن أصعب ما فى الدنيا هو التعدى على مال الغير وممتلكاته، وهو أمر محرم، فتذكر يا بنى قول الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}. (النساء-٢٩). إن الأمانات إذا ضيعت هلك الكثير من الناس و أنشدت جدتى ابياتا من الشعر:

يا من حسبته لى سندا يؤازرنى ومالى له سلبا
فلما اشتد منه عودا اخذ نصيب أخت حظا
طمعا فى دنياه ما أبقى فلا أعاد المال ولا أرضا
فيا بن أم إما عشنا تسعا أنسيت الحب و الرحما
يا حسرة جفن ملأته دمعا على صلب باعنى بخسا
دراهم القناعة ما أحوجنا فمن رضع عاش ملكا
فسدد دينك يا بن أم سلفا وعش فى دنياك راحة بدنا

فقلت: يا جدتى لم كل هذا؟ فقالت لى: الشيطان و الهمس، إذا بدا للمرء بدا منه كل شيء عوجا، اسمع يا بنى لحديث رسولنا عليه الصلاة والسلام «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»، لقد تحايل الكثير، وخانوا الأمانة، أما قلت لك ما حدث مع من استأجر بعد وفاة زوج عمتك، وقام بتزوير الأوراق ليستولى على أرض عمتك، و قد وثقت به، فأعلم يا بنى حكمة بالغة، لا تثق فى شيطان البشر، يا بنى ان من يأخذ شبرا من أرض بدون وجه حق، طوق يوم القيامة من سبع أرضين، فقلت لها: ولماذا كل هذا يا جدتى؟ قالت: إياك والطمع فهو مفسدة القلوب، فقلت لها: وكيف تفسد القلوب؟ فقالت حين تلهو وتنسى ذكر الله، يا بنى، اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون، يا بنى إن أعظم الغلول عند الله يوم القيامة، ذراع أرض يسرقه رجل فيطوقه من سبع أرضين، إنه أشق ما فى سلب الحقوق حين يأتى الموت يا بنى، ويا لها من لحظة، أين منها المفر، إن العقاب المنتظر بحسب قوة المفسدة، وإن أخذ حقوق الغير لهو جريمة، لا يغنيها إلا

بـرد المظـالم إلى أهلهـا، إن مـن سـلب حقـا بـدون وجـه حـق فلينتظـر الظلمـة، يـا بنـى إن ليـل الظلـم لا يسـتمر وثـوب العـار ممـزق مهمـا بـدا السـالب فيـه مـن زينـة، وشمـس الحـق مـا تختفـى، ومهمـا مكـر البشـر فـإن الله سيسـتدرجهم مـن حيـث لا يعلمـون، فقلـت: ومـاذا بعـد يـا جدتـى؟ فقالـت، وفـى عينيهـا حسـرة كـبرى،: ليتذكـر البشـر يـا بنـى «مـن كانـت لـه مظلمـة لأخيـه مـن عرضـه أو شـيء فليتحلـل منـه اليـوم، قبـل أن لا يكـون لـه دينـار ولا درهـم، إن كان لـه عمـل صـالح أخـذ منـه بقـدر مظلمتـه وإن لم تكـن لـه حسـنات أخـذ مـن سـيئات صاحبـه فحمـل عليـه» رواه البخـارى. فقلـت وبمـا توصينـى يـا جدتـى، فقالـت يـا بنـى ان الإنسـان فطـر علـى حـب الحيـاة وكراهيـة المـوت، و الإنسـان مفطـور علـى حـب المـال **{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}. (الفجر ٢٠)**، كمـا قـال تعـالى : **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ}. (آل عمران -١٤)** إن الإنسـان قـد يُصـاب بآفـة علـى إثـر حبـه لتملـك المـال وجمعـه ألا وهـى الطمـع و الجشـع وهـو سـلوك يحـط مـن قـدر الإنسـان وقيمتـه وذلـك لأنـه يسـعى للحصـول علـى الأمـوال بغـير حـق للاسـتزادة و الاسـتكثار فقلـت: يـا جدتـى ومـا أسـباب ذلـك؟ ومـا العـلاج؟ فقالـت: يـا بنـى العـلاج سـهل وهـو اتبـاع قواعـد ديننـا فـى بـاب المواثيـق والعهـود والديـن والمواريـث، وإن سـبب مـا يحـدث يعـود إلى ضعـف الإيمـان، إن المـال وسـيلة يـا بنـى دوره الإنفـاق علـى النفـس وعلـى مـن نعـول دون إسـراف أو تقتـير، والقيـام بالـزكاة، إن للطمـع بريقـا عنوانـه الشـره و هيـاج الرغبـة فـى الامتـلاك، فـإذا ظهـر الطمـع جمـع جيوشـه، ليبيـد أمامـه مـا اسـتطاع فـى جمـع المـال، ويصبـح الطمـع عنـوان ذل بنفـس مـا يدركـه صاحبـه الا بعـد فـوات الأوان. اعتدلـت جدتـى وبـدا النـوم يغافلهـا، فقالـت: يـا بنـى احفـظ عـن كتـاب الله **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ}**. (البقرة–١٧٧).

المقال الرابع
ركن مشروط بالسبب

ما أن انتهت دراستى، سعدت لأننى سأنتقل لمرحلة جديدة، وعلوم جديدة، حيث أننى سأنتقل لمرحلة تؤهلنى لدخول الجامعة، وحاولت أن أنتهز العطلة الصيفية، كى أستفيد من جدتى، فى درس العصر كل يوم، وهرعت إلى جدتى، كى اخبرها بنجاحى بتفوق، وسعدت جدتى، وغردت قريض شعر وقالت: تعلم يا حفيدى، فربما تكون شاعرا يوما ما، وأنشدت أنشودتها فقالت:

ما بين الكف والكف هل يستوى ميزان عدل
نقرع الدف من كف دقات فرح ودقات بحزن
الحزن مكيدة من هم اذ صار الهم لقمة عيش

قلت لها: يا جدتى لم يتنازع الجميع؟ ولم يعد جو الحب متواجدا، فقالت: يا بنى ما يبن الملك على الحقد، وإن أى عمل دون حب حقيقى لهو رياء من خلف الظهور، يا بنى إن أركان تنظيم الأسرة والتى هى أساس الحياة والمجتمع، فإن انفكت أواصر العقد فيما بين أفرادها وتغافل ركنى الأسرة عن واجبهما، تصدع البيت وتعرض للانهيار، يا بنى، إن الأساس السليم فى البيت الأسرى هو تقوى الله، فقلت: يا جدتى وما هى التقوى؟ فقالت: التقوى يا بنى هى الإحسان فيمن حولك ومراقبة الله، فإن لم تكن تراه فهو يراك، وان أول ما يفسد بين الأخوة والبشر فيما بينهم هو المال الذى بدلا من أن يكون مصدرا للقوة فيما بينهم إذا تآلفوا، صار مط نزاع فيما بينهم، يا بنى إن قضايا الاستيلاء على أموال الغير فيما بينهم بدون وجه حق، لهى مفسدة البشر، يا جدتى لم يرث بعضنا بعضا؟ قالت: يا بنى إن الميراث هو

ركن التنظيم فى التشريع المالى، بين العائلة، فأنت ترث جهد والدك، وحينها تشعر بأنه صاحب فضل بعد الله أن ترك لك مالا يعينك ليسد حاجتك، وربما يساعد على زيادة التجارة التى يقوم بها أبوك عليها الآن أطال الله فى عمره، هب يا بنى أن هذا الإرث المتروك، أخذته الدولة بعد وفاة الشخص، هل سيكون هناك مبرر إلى العمل، أو بذل الجهد؟ فالميراث يدفع الكل للعمل من أجل زيادة اقتصادياته وبالتالى اقتصاد دولته، إن تقسيم الثروات بالعدل والميراث الشرعى لهو رمانة اقتصاد أى دولة، وأن أى نظام لا يؤمن بالإرث أو يغاير فى حدود الميراث لهو مجتمع معادلته العدلية ميزان معوج فى أيدى الظالمين. إن عدالة التوزيع بين أقرباء الميت رجالا أو نساء، من المفترض أن تبعد روح الحقد والكراهية، وإن أى خلل فى التوزيع وأى نظرة طمع أو جشع ممن لا يعرف حدود الله فى الميراث فهى هالكة طالت أو قصرت، يا بنى إن الميراث يا بنى إن تصارع الأخوة عليه، فاعلم أن الأسرة ستنهار، وتضيع صلة الرحم، فقلت: وما الحل يا جدتى؟ قالت: تقوى الله، تقوى الله، تقوى الله، وظلت تتمتم بهذه الكلمات حتى رأيت وجهها يزداد احمرارا، فقلت لها: يا جدتى لم يضيع فيم بين الناس الميراث؟ فقالت: يا بنى إن المال الحلال لا يضيع، وإن من يتحرى لقمة عيشة بارك الله فيها وزادها وان كان يراها قليلة مقارنة بالآخرين، يا بنى لن نأخذ أكثر مما قسم لنا، **{وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}**.(لقمان- ٣٤)، فمن كان له طمع فى عين أو مال، فهل هو خالد إلى الأبد، انظر يا بنى أين الأقدمون وسيتبعهم الحاضرون والكل مغادر خال فى ثياب دون مخيط، إن ضياع أموال البشر فيما بينهم لهى من المسائل الضيقة والمتسعة، متسعة فى الخلاف وضيقة فى العقول، وأعلم أن من استولى على مال أو عين أو غير ذلك فقد تعجل رزقه، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل، إنها الغواية يا بنى. فقلت لها: يا جدتى، ما هى قواعد التوزيع؟ قالت: يا بنى قبل أن تعرف عليك أن تفهم بعض الكلمات، لأن كل مفردة ذات معنى يوضح المقصود بها وأن من يتلفظ دون فهم كمن ينبح فى عورات الطريق، لا يفهم ان كان يحرس أرضا أو انه جائع أو انه يعوى لمجرد إثبات الوجود، فلا تتكلم بغير فهم لأى لفظة تنطقها، وإلا ضاعت منك الكثير، فقلت لها: علمينى يا جدتى، فقالت أركان الإرث يا بنى ثلاثة مورِّث،

و وارث، وموروث، فالمورِّث: هو من انتقلت التركة منه وهو الميت. والوارث: هو من انتقلت التركة إليه. و الموروث: التركة. فقلت: أفهم يا جدتى أن ما ينقل من الميت وكانت لديه قبل موته يطلق عليها التركة، فقلت لى نعم يا بنى وهذه التركة أيا كان شكلها هى ما يتنقل للورثة، فقلت لها: هل هناك شروط للإرث يا جدتى أم أن أى فرد يمكن أن يرث فقالت: يا بنى إن شروط الإرث ثلاثة، سأوجز لك الثلاثة فى الأوجه التالية، أن يكون هناك ميت مثبت موته، وأن يكون الوارث حيا، وأن يكون هناك علاقة تصل الوارث من المورث.

وسأحكى لك عنها جزءا ميسرا من التفصيل فأولها يا بنى أن يكون موت المورِّث حقيقة فلقوله تعالى: **{إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ}. (النساء-١٧٦)** والهلاك الموت، وتركه لماله لا يكون إلا بعد انتقاله من الدنيا إلى الآخرة. ويحصل تحقق الموت بالمعاينة والاستفاضة (انتشار الخبر والتأكد منه)، وشهادة عدلين. فقالت: واليوم يا بنى يقوم الأطباء بالمعاينة وعمل شهادات الوفاة، فقلت لها: ثم ماذا عن المفقود يا جدتى؟ قالت: يا بنى ما يقال عنه موت حكما المفقود إذا مضت المدة التى تحدد للبحث عنه؛ فإننا نحكم بموته إجراء للظن مجرى اليقين عند تعذره، لفعل الصحابة رضى الله عنهم .

سكتت جدتى برهة فقلت لها: وما هو الشرط الثانى يا جدتى؟ قالت: الشرط الثانى هو حياة الوارث أى نتأكد من أن الوارث على قيد الحياة، ويحصل تحقق حياته بعد موت مورثه بالمعاينة والاستفاضة بمعنى اتساع الخبر، وشهادة عدلين.

صمتت جدتى وسألتها: والثالث يا جدتى تفصيلا؟ فقالت: ألا تريد أن تبقى ذلك للغد؟ قلت لها: زيدى من علمك يا جدتى فقالت:

إن الشرط الثالث هو ما السبب المقتضى بالإرث، لأن الإرث مرتب على أوصاف كالولادة والأبوة والأخوة والزوجية والولاء ونحو ذلك فإذا لم نتحقق وجود هذه الأوصاف لم نحكم بثبوت ما رتب عليها من الأحكام، لأن من شروط ثبوت الحكم أن يصادف محله، فلا يحكم بالشيء إلا بعد وجود أسبابه وشروطه وانتفاء موانعه. وعليك أن تعلم كيف يتصل الوارث بالمورث؛ هل هو زوج أو قريب أو ذو ولاء أو نحو ذلك ؟

لكن هاهنا حالان، فقلت لها: وما هما يا جدتى؟ قالت: أن يكون للميت وارث معلوم فيدعى آخر أنه أولى بإرث الميت منه؛ ففى هذه الحال لا بد أن نعلم بكيفية اتصال المدعى بالميت، وبمنزلته منه أيضاً؛ بأن نعلم أنه أخوه أو عمه أو ابن أخيه أو ابن عمه، وهل هو بعيد المنزلة من الميت أو قريب؛ لتعلم بذلك أيهما أولى بالإرث، ولا يكفى فى هذه الحال أن تعلم أنه قريبه ونحوه؛ لئلا ندفع به حق الوارث المعلوم بلا علم.

أما الحالة الثانية فهى أن لا يكون للميت وارث معلوم، ففى هذه الحال يكفى أن نعلم أنه قريبه أو من قبيلته ونحوه، ويستأنس لهذا بما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: مات رجل من خزاعة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بميراثه فقال: «التمسوا وارثاً أو ذا رحم»، فلم يجدوا له وارثاً ولا ذا رحم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «انظروا أكبر رجل من خزاعة «. رواه أبو داود.

تحدثنا يا جدتى عن الركن والشرط فماذا عن الأسباب التى تدعو للميراث؟ فقالت: إن أسباب الإرث هى (النكاح والنسب والولاء)، أما النكاح يا بنى فهو عقد الزوجية الصحيح؛ فيرث به الزوج من زوجته والزوجة من زوجها بمجرد العقد، وإن لم يحصل وطء ولا خلوة؛ لعموم قوله تعالى : **{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُم}**، **{وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ}**. **(النساء-١٢)**. والمرأة تكون زوجة بمجرد العقد ولا تكون زوجة إلا بعقد صحيح، وروى الخمسة من حديث علقمة عن عبد الله بن مسعود : «أنه قضى فى امرأة توفى عنها زوجها ولم يكن دخل بها أن لها الميراث، فشهد معقل بن سنان الأشجعى أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى فى بروع بنت واشق بمثل ما قضى به». وصححه الترمذى.

وماذا عن النسب يا جدتى؟ فقالت: يا بنى إن النسب هو الرحم، وهو الاتصال بين إنسانين بولادة قريبة أو بعيدة، لقوله تعالى: **{وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ}.(الأنفال-٧٥)**

وماذا تبقى بعد يا جدتى؟ قالت: السبب الثالث فى الإرث هو الولاء وهو يعنى ولاء العتاقة وهى العصوبة التى تثبت للمُعْتِقِ وعصبته المتعصبين بأنفسهم، سواء كان العتق تبرعاً أو عن واجب؛ من نذر أو زكاة أو كفارة؛ لعموم قول النبى صلى الله عليه وسلم «إنما الولاء لمن أعتق». متفق عليه.

انظر يا بنى ان الولاء نوعان : ولاء عتاقة، وولاء موالاة. أما ولاء العتاقة : فلا خلاف فى ثبوته شرعا،

ولنترك الحديث للغد لأوضح لك يا بنى السبب الثالث فى الولاء، فإلى الغد، وانهض وسجل ما أمليته عليك، فإن السجلات تتوه فى الزمن إذا غفل عنها القلم، وصمت العقل، وكممت الأفواه، ونامت العيون، فاكتب وسجل ما استطعت واصدق وتحر ودقق ولا تأخذ أى أمر دون مراجعة، ومراجعة الأمور تتطلب دقة التحرى ولا تجادل ولكن ناظر الآخرين بالحجة، وضع للزمن جانبا فى كل ما تقرا، فكل عصر يختلف عن غيره، ولكن لا تغير الثوابت فتهدم أساس عقيدتك

وهنا توقفت جدتى عن الكلام.

المقال الخامس
الولاء لمن أعتق

نادتنى جدتى حيث موعدنا، فهرولت إليها مسرعا، فقالت: لم تأخرت قليلا وعلمتك أن الانضباط فى الموعد هو عدل الوقت، فلا تجر على الوقت بالتراخى فيه، فقلت لها: يا جدتى القيد أثقل كاهلى، فقالت: وأى قيد يا بنى؟ قال: قيد الكلمة، قالت: وما قيد الكلمة يا بنى؟ فقلت لها: يا جدتى أجد صعوبة فى الكلمات الغير مشكلة ضبطا ونطقا وهذا ما يغير مفهوم الكلمة، فإذا قرأت كلمة غير مشكله أخطأت فى معناها وتاه منى المضمون، فقالت: أصبت يا بنى، فإن نطق الكلمة الغير صحيح يحرف المعنى كليا أو يبتر المعنى الأصلى وكم من حرف غير الموضوع كله، فقلت لها: فعلمينى إذن واسقنى من لغتك حتى الثمالة، فقالت نعم فللغة ثمالة وبدونها لا نقتفى الأثر، فإذا كتبنا الكلمة بغير ضبط صارت الكلمة فضفاضة، وإن فضفاض الكلمة لا يناسب مرتديها وتكون مصدر بلبلة فعليك بالضبط والسياق فالخبر، فإن لم تتبع هذا فإن الكلمة تميل إلى الرحيل عن لسانك ويصعب إعادتها إلى وضعها الطبيعى، كما تميل النفس إلى مغادرة مجلس الجهل، ان لم يوضح العالم ما وراء الكلمة، تاه المفهوم فتمتمت جدتى بكلماتها وقالت:

يا قاتلَ الحرفِ مِن لُسن إنَّ الحرفَ فى القلبِ يَسكنُ
يَحِنُ الحرفَ إلى وطن إنَّ الرحيلَ فى الحرفِ مُلسَّنُ
نَحِنُ لحرفٍ بِقلبٍ بَطِن وحنينُ الحرفِ سَطرُ ومَسْكَنُ

ما هذا يا جدتى، ما هذه الأبيات، هذا يدفعنى لعنوان اليوم الولاء لمن أعتق، فكيف أنطق العنوان باللسن، فقالت: يا بنى لقد تحدثنا فيما سبق عن السبب الثالث فى الإرث وهو الولاء، فاسمع يا بنى كيف تكون الكلمة لأعلمك

وانطق بعدى الكلمة مشكلة، هناك أكثر من وجه للكلمة، أولا الوَلاَءُ وهى تعنى المِلْك، وتعنى أيضا القُربُ، وكذلك القَرابةُ، وهناك معانى أخرى تعنى النُّصرةُ أو المحَّبةُ أو الطَّاعَةُ والإخلاص، وحيث أننا نتكلم عن المواريث فهى تعنى فى إطار الموضوع المِلْك، و القُربُ، و القَرابةُ، وما علاقة ذلك يا جدتى بالمُعْتَق؟ فقالت: يا بنى أما ذكرت لك فى حديثى السابق قول النبى صلى الله عليه وسلم: «إنما الولاء لمن أعتق». متفق عليه، وأعتقَ بمعنى يُعتق أى أعتق العبد أى حرَّره من عبوديَّته ورقِّه أى أعتق رقبةً، أما إذا قلنا أعْتَقَ المال أى أصْلَحَهُ، وسأروى لك هذه الرواية: روى أن رجلا اشترى عبدا فأعتقه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى اشتريت هذا فأعتقته فقال صلى الله عليه وسلم : هو أخوك ومولاك، فإن شكرك فهو خير له وشر لك، وإن كفرك فهو خير لك وشر له، وإن مات ولم يترك وارثا كنت أنت عصبته». ماذا يعنى هذا يا جدتى؟ فقالت: يا بنى إن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن شكرك فهو خير له» ; لأن المُعْتَق لما أنعم الله عليه بالإعتاق فقد وجب عليه الشكر، فإذا شكره فقد أدى ما وجب عليه، فكان خيرا له، وقوله صلى الله عليه وسلم : وشر لك ; لأنه قد وصل إليه شيء من العوض فأوجب ذلك نقصانا فى الثواب ; لأنه يصير كأنه أعتقه على عوض، فكان ثوابه أقل ممن أعتق ولم يصل إليه على إعتاقه عوض دنيوى أصلا ورأسا، وقوله صلى الله عليه وسلم : وإن كفرك فهو خير لك ; لأن إعتاقه إذا خلا عن عوض دنيوى يتكامل ثوابه فى الآخرة، وقوله صلى الله عليه وسلم : وشر له ; لأن شكر النعمة واجب عقلا وشرعا، فإذا لم يشكره فقد ترك الواجب، فكان شرا له فقلت لها: أما هناك دلالات أخرى يا جدتى؟ فقالت: يا بنى روى أن مُعْتَق بنت حمزة رضى الله عنه مات وترك بنتا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف ماله لابنته والنصف لابنة حمزة. فقلت: أزيدينى فى هذا يا جدتى. فقالت: يا بنى أجمع أهل العلم على أن من أعتق عبدا, أو عتق عليه ولم يعتقه سائبة أن له عليه الولاء، والأصل فى هذا قول النبى علية الصلاة والسلام : « الولاء لمن أعتق »، وأجمعوا أيضا على أن السيد يرث عتيقة إذا مات جميع ماله, إذا اتفق دينهما ولم يخلف وارثا سواه وذلك لقول النبى – عليه الصلاة والسلام : «الولاء لحمة كلحمة النسب» والنسب يورث به ولا يورث.

فقلت لها: وما معنى اللحمة؟ قالت: هى ما يعنى قَرَابة أى بينهم لُحْمَة مصاهرة. كذلك الولاء، وروى سعيد عن عبد الرحمن بن زياد حدثنا شعبة, عن الحكم عن عبد الله بن شداد قال: » كان لبنت حمزة مولى أعتقه, فمات وترك ابنته ومولاته فأعطى النبى – علية الصلاة والسلام – ابنته النصف, وأعطى مولاته بنت حمزة النصف»، قال: وحدثنا خالد بن عبد الله عن يونس عن الحسن, قال: قال رسول الله – علية الصلاة والسلام –: «الميراث للعصبة فإن لم يكن عصبة فللمولى»، وعنه »أن رجلا أعتق عبدا, فقال للنبى – عليه الصلاة والسلام –: ما ترى فى ماله؟ قال: إن مات ولم يدع وارثا فهو لك». اعلم يا بنى أن التقوى سبيل الرشاد وتذكر قول الله **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}.(الأحزاب:٧٠، ٧١)** ثم ماذا بعد يا جدتى؟ فقالت: يا بنى إن أحكام الميراث دقيقة وعادلة وقد فصلت بدقة بالغة، وهنا يكمن فى أهمية الكلمة وتشكيلها فى سياق العبارة واعلم أن أى خطأ فى النطق لأى لفظة قد يهوى بنا إلى ما لا يحمد عقباه، فتعلم يا بنى الحرف والكلم والنقاط والتشكيل، ومن هنا جاء كتاب الله ليحقق عدالة الميراث بين البشر، فتضفى العدالة على المؤمن الطمأنينة والرضا والتسليم لما يقضى به، يا جدتى سمعتك ذات مرة تقولين إن على الوصى دورا كبيرا فى توزيع التركة، فقالت جدتى: نعم يا بنى إن الواجب على الوصى المبادرة إلى توزيع تركة الميت بعد إحصائها، وتسديد الديون التى عليه، والنظر إلى الأموال التى له فى ذمم الناس، فيجمعها ويحصيها فإذا تم جمع وإحصاء كل ماله، يتم إخبار الورثة، ويبادر بتنفيذ وصيته إن كانت هناك وصية، ثم يقوم بتوزيع الميراث على المستحقين له ولا يؤخر ذلك لأنه يؤدّى إلى وقوع المشاكل والخلافات والشحناء. فقلت: يا جدتى وماذا إذا رغب الورثة فى ترك التركة بأيدى الوصى؟ هكذا وجهت سؤالى لجدتى فقالت: يا بنى فلا حرج عليهم فى ذلك، لكن على الوصى حصر إرث كل شخص من المستحقين للميراث ومعرفة مقداره وإعلامه به لئلا تختلط الحقوق وتضيع، ولا بد من الحذر من الوقوع فى الظلم فالأعمار منقضية والآجال محتومة. قال صلى الله عليه وسلم: »لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء» (التى بدون قرون) من الشاة القرناء»

– (رواه مسلم (ويجب يا بنى حصر ما تركه الميت من عقار وغيره لورثته الشرعيين بعد تسديد دينه إن وجد وتنفيذ وصيته الشرعية، فلهم حق التصرف فيما آل إليهم من مورثهم بالبيع أو الإجارة أو غير ذلك من وجوه التصرفات المسموح بها شرعاً. ولا بد من المبادرة بتقويمها وبيعها وتقسيمها بينهم حسب الميراث الشرعى بواسطة أهل الخبرة بالتقويم (وهذا يا بنى سوف أوضحه لك فيما بعد كيفية تقسيم الميراث)، وإن تراضوا بينهم فى القسمة وهم راشدون فلا بأس، وإن تنازعوا فمرد النزاع إلى الصلح بينهم أو عن طريق المحكمة الشرعية وما يتعذر به بعض الأوصياء من وجود عقار يرغبون فى ارتفاع سعره فهذا غير مناسب لاسيما مع حاجة الورثة.

توقفت وقلت لها: يا جدتى بعض الورثة يعترض على توزيع التركة مع انتفاعه ببعضها، قالت: يا بنى هذا أمر محرم شرعاً، لأن هذا من التعدى على حقوق بقية الورثة، وحينئذ يكون انتفاع الوارث ببعض التركة كالعقارات والأراضى والمزارع وغيرها من باب الغصب، فقلت لها: وما معنى الغصب يا جدتى؟ أزاحت بعصاها واتكأت على يمينها وقالت: يا بنى إن الغصب يعنى غصَبه مالَه أى أخذه منه قهرًا وظلمًا وعَنوةً، وهو من الظلم المحرم. وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من غصب الأراضى وأخذها من أصحابها بغير حق. يا جدتى قد يكون أحد الورثة يدير أموال الميت فى حياته وقد يأخذ بعض المال لنفسه دون موافقة بقية الورثة فماذا يعنى ذلك؟ قالت: يا بنى إذا أخذ هذا الوارث ــ الذى يمنع قسمة التركة ــ مالاً من الميراث دون موافقة بقية الورثة، فما يأخذه كسب محرم، وإذا أصر بعض الورثة على المنع من توزيع التركة فإن للورثة الآخرين رفع الأمر إلى القضاء لإجبار المتنع عن القسمة.

استمع يا بنى إن الأمر عظيم تلك حدود الله فلا تعتدوها، يا بنى استمع إلى هذه الآية: **{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**. يا بنى إن كثيرا من الناس يغتصبون حقوق الآخرين فى الدنيا، وهذا أمر جلل، لانه يفسد قانون العدل ويختل، يا بنى ان الظالم، إذا أراد أن يفتدى بنفسه يوم القيامة ويوم يأتى العذاب، يفاجأ بأن كسبه من حرام لا يقبل منه فداءً، فقلت لها: وما معنى

فداء يا جدتى؟ فقالت :يا بنى الفِدَاءُ : ما يقدَّم من مال ونحوه لتخليص المَفْدِى، وفى يوم القيامة لا نحمل معنا شيئا، يا بنى إنه يوم عظيم وتذكر يا بنى الآية **{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ}.- البقرة ٤٨**، واعتدلت جدتى ثم قالت: يا بنى من الغد سوف أوضح لك الوارثين من الرجال، والنساء والمحجوبين من الميراث وكيفية توزيع الميراث، فقلت لها يا جدتى هى مسألة صعبة، فقالت: إن الصعوبة يا بنى هى ألا تعلم أمور دينك، وسوف أوضح لك كل أمر بيسر وسهولة، ونسأل الله أن يفتح علينا، وهنا استأذنت جدتى، وذهبت إلى خارج البيت.

المقال السادس
التسامح موصول رَحِم والكرة شيطان أَعْدَمَ القيم

كثيرا ما نُغَيَّب، إمَّا نَغِيبُ الحقائق، فليست كل الحقائق تبدو جلية فنأخذ نصف الصورة، ويختفى النصف الآخر، ويظل الإنسان لديه صور مشوهة، لا تمت إلى الواقع، و من خلال تجاربى الشخصية، وفى هذه الحياة التى بدا فيها العمر عتيا، وباسترجاع ذاكرة طفولة، ومراهقة شابة، ورجولة فتية، وتحملا للمسئولية، ثم إنهاك، {اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}. (الروم- ٥٤)، وتستمر الحياة حتى ينتهى قلبك النابض، الذى ملأته بأشكال عديدة، فتارة تحب، وتارة تكره، وتارة تصد وتَتَصيد، وتارة ترد وتُصَّيدْ، وتعش فى الحياة كأنها معركة حربية ونزال، ويظل القلب منهكا، لما تسمعه الأذن ولا تجد من يصحح لك، وترى بالعين، ولا تجد من يعدل لك الصورة، فنحمل بداخلنا موجات نيليه محملة بطمى الكراهية، أو يطفوا على السطح ورد النيل فيسد مجرى القلب من القبول، ويصبح مجرى النيل داخل قلوبنا عديم الحركة كريه الرائحة عطن، أفسده كثيرا من السمع والبصر المختل، وبث سموم الآخرين، فجلست أراجع تجربة الحياة، فمن حول الحياة إلى نزال، فيما بيننا، هو سؤال دوما أطرحه، سواء على خاطرى أو على محيط دائرتى الاجتماعية، ولعلنى، وجدت ملاحظه منذ طفولتى، بل أجدها فى أغلب الأسر المحيطة، وهو ميل الأبناء فى أغلب الحالات إلى أقارب الأم أكثر من أقارب الأب وبنسبة كبيرة، فتساءلت: لم هذا الميل، ومن يوجه هذا الميل ويغذيه وينميه؟ وكما هو معروف فإن هذا الميل غير المتوازن يؤثر سلبا على مكان آخر وهو جانب أقارب الأب، وتساءلت بين نفسى: لماذا ذلك يحدث، لقد وجدته بسيطا، ولكن تأثيره سمى المذاق، علقم فى تناوله، ذا غصة فى الحلقوم، ان أى اسرة تبدأ نواتها بمشروع زواج، يبدأ بين طرفين، ويكون الأهل

أحد طرفى الاختيار، سواء اهل العروس أو أهل العريس، وتبدأ المداولات والمحادثات حتى تبدأ الزيجة بعد دورة مناقشات، تناقش كأنها فى جمعية عمومية بالأمم المتحدة، ويحدث نزاعات حدث ولا حرج، فتبدأ الزيجة بكتلة ملتهبة من الشحنات قبل أن تبدأ وعلى العريس والعروسة، أن يخمدا هذا الأمر ان كان فى قدرتهما الاستطاعة وان تمت الزيجة بشكل أو بآخر، نكن أمام نفوس حُمِلَت منذ البداية، وهذا التحمل غالبا، ما يكون من طرفى النساء، لطبيعية، اتجاهاتهم، وإحساس الأم تحديدا، بانتزاع الابن منها، والذى تم تربيته بالجهد والعرق، وتأتى من تخطفه، هكذا هى الثقافة، وكأن العروسة لم يصرف عليها، أو أن أهلها قد أنفقوا على قدر استطاعتهم وربما أكثر من الابن المدلل عند أمه فهى ثقافة ذكورية لن نتخلص منها، وهذه الثقافة المضمحلة أثرت على كثير من الناس، ونسيا طرفى المشاجرة اقصد عائلتى الزوج والزوجة أن الاختيار له قواعد وليست مبارزة، فمن جاءكم ترضون خلقه ودينه فزوجوه، وتخيروا فإن العرق دساس، واظفر بذات الدين تربت يداك، هذا بالإضافة إلى حديث الإعرابية الذى يعتبر دستورا حقيقيا على كل أم أن توجه ابنتها إليه، و يخرج العريس والعروس مصابا من قبل أن يبدأ شهر العسل، مصابا بسهم فى قلبه، أو فى عقله، وهى الأخرى، ولكن رغبة فى الاستمرار، يتجنب كلا منهما الأمور ولكن كأنها فى الوضع الجرثومى المتحوصل داخل حوصلة تنفجر فى أى لحظة حين يستعيد كلا الطرفين موقف الأهل فتبدأ المشاحنات، وتنتهى إما لنزاعات فى المحاكم، أو إلى مشاحنات، تتحمل الأمهات اكبر قدر منها، ولكن تنفث من هذا القِدر إلى من إلى أولادها، وتظل طيلة حياتها تبث فى أذن أولادها، هذا البث المسموم، ليس فيه كلمة تهدئة، ولا كلمة بالتسامح، فتقل الأواصر بين الأبناء وأرحامهم، والكارثة الكبرى لمثل هؤلاء الأمهات أيضا و اللائى اعتدن على الشكوى وعدم الحمد بنعم الله، تبدأ لتكرار نفس الأمر بين الأبناء فتشكى ابنها لابنتها أو ابنتها إلى ابنتها فتصير الفتنة المتولدة بين الأخوة، وتنتقل معهم حين يغادرون هذا المنزل ورويدا رويدا، وأصبح مصدر ورأس الفتنة داخل كل أسرة امرأة، إلا من رحم، وتنتقل هذه الثقافة وتتوارثها الأجيال، ومن هنا تنقطع صلات الأرحام لا أم تقرب والأب من مشاكله يهرب فهو لا يريد أن يعيش جوا من النكد بالإضافة إلى نزيف الحياة المادى ومتطلبات

النفقات هذا بالإضافة إلى استقلال الأم اقتصاديا أعطى لها الصوت الأعلى فى أوقات كثيرة وصارت الأسر تعيش فى صراعات فيما بينها، فتدور الأسر فى قوارب بلا قياده، وتصبح القيادة فى الأسر تميل إلى أسلوب البلطجة والسفه ويظهر مجتمعا مسفه، لا يعرف ذلك ولا تشعر القلوب بالاطمئنان فى أغلب الأحوال، إذن فالقضية التى قطعت الأرحام هى نفس قضية الزواج، وهنا نقيض الأمر، إذن ما هى النتائج السلبية لهذا الواقع المؤلم، وما هو الطريق لفض النزاعات وصلات الأرحام، أنا لا أنصب نفسى عالما بكل الأمور، فكما رأينا نصف الحقيقة وتربينا على أنصاف الثقافات وعلى أوراق التاريخ المزورة والمتهرئة، والحل أسهل مما يكون فليكن التسامح هو مفتاح الحل فى أمرين هما مفتاح السر كتاب الله وسنة نبيه، ولنعلم أن ما فرطنا فى الكتاب من شيء، قال الله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**. (التغابن- ١٤) إنها دعوة للغفران والتسامح، وإن المسامح الذى حمل بداخله ألف نغزة وغصة، عليه أن يعقل صفحات التاريخ ويميزها، وإن يقبل عذر الآخرين، وإلا يعيش بين توهمات تزيد بداخله كرات الكره، يقول الله تعالى فى سورة يونس: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}**. - آية ٥٧، وإن نار الفرقة والتى تحدث بين الأرحام تولد أمرًا من عدم الاحترام بين العصب فى درجات التعصيب، فنرى فوضى عدم الاحترام تبدد العلاقات حتى تصل إلى القطيعة وطول الألسن غير المسئولة وكأنه عبث يباركه الأمهات والآباء لصغارهم، ورغم أن الصغار لا يبقون على حالهم بل وربما يتقلدون مناصب كبرى، ولكن أواصر الخلق الكريم قد ضاعت من بث سموم الأهل، حتى يتوه كرامة الكبير والصغير ونسى هؤلاء أنه بيّن لنا نبيُّنا أنّ مَن أحسن إلى الكبير فى الدنيا هيّأ الله لذلك المحسنِ عند كِبَرِ سنِّه ورقّةِ عَظمه من يجازيه بهذا العمَلِ الصّالح، فيقول» :مَا مِن مسلم يكرِم ذا الشّيبةِ إلاّ قيّض الله له من يكرمه فى سِنِّه»، فإذا أكرمتَ ذا الكِبَرِ لسِنِّه قيّض الله لك فى حياتِكَ من يجازيكَ بمثلِ ما عمِلتَ، فيكرمُك ويحسِن إليك. ونبيُّنا يخبرنا أنّ إكرامَنا لمن هو أقدمُنا سِنًّا أنّ ذلك من تعظيمنا لربّنا وإجلالنا لربّنا، يقول»: «إنّ مِن إجلالِ الله إكرامَ ذى الشّيبةِ وحامِلِ القرآن غيرِ الغالى فيه والجافى

عنه وذى السلطانِ المقسِط»، فمن إجلال الله أن تكرمَ هؤلاء الثلاثة: ذا الشيبةِ من أهل الإسلام، تكرِمه، ترحَم كِبرَه، تخاطبه بخطابٍ ليِّن، تقضى حاجتَه، تعينه على نوائِبِ الدنيا، تعرِف له كِبرَه وضعفَ قوّتِه وعجزه عن التصرُّف، فكلُّ هذه الأمور تكون فى فِكرِك، فتعامِل ذا الشّيبةِ المعاملةَ الطيّبة التى تنمّ عن رحمةٍ وأدَب حسَن. ثانيًا: من كان حامِلاً لكتابِ الله الحمل الشرعى، ليس غاليًا فيه، فإن الغلو فى كل الأمور تُظهر متكبرا من الأشخاص على غيرهم معتقدا ضلال غيره بلا فكر ولا رأى مصيب، إن شحنات ما قبل الزواج امتدت آثارها إلى الأجيال، فكم من شيخ كبيرٍ إن تحدّث فى مجلِسٍ نظر إليه الشّباب نظرةَ الازدِراء والاحتقار، يرَونَ كَلامَه غيرَ صحيح، ويرَونَ رأيَه غيرَ صائب، ويعدّونه عِبئًا وثُقلاً عليهم، وما علِموا أنّ هذا الذى أمضى عمرًا فى طاعةِ الله وفى القيامِ بما أوجب الله أنّه أفضلُ وأعلى منهم منزلةً.

فلنتذكر قول نبينا: «ليس منّا من لم يوقِّر كبيرَنا ويرحَم صغيرَنا». وخصوصا فيما بين رحمك، فالرحم لهم حق الصلة، ودعوة التسامح تبدأ بداية من الآباء لدعوة أبنائهم إلا يتخطى أى منهم حده ولا يبسط صغيرهم لسانه بالبذاءة أو السخرية، فليعلم كل منا: **{ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }**. (ق –١٨) وقوله: **{يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور}**. واعلموا أن ما اقصرها من حياة، فعلموا أولادكم الأخلاق العالية، وعلِّموهم الأدَبَ الحسن والقولَ الطيِّب فى التعامل مع الآخرين، فتلك أخلاقُ الإسلام التى إن اعتنينا بها حقًّا نِلنا السعادةَ فى الدنيا والآخرة. وتذكروا قول الله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }** (الأحزاب– ٢١)، ولتكن دعوتنا إلى التسامح لنشعر بالتعاطف والرحمة والحنان، وعلينا أن نترك المشاعر السلبية المُتَوَرِثة من موروث أول يوم زواج من الأهل وتدخلهم، علينا أن نكسر ثقافة الكراهية، علينا نتعلم كيف نحترم الآخرين قولا وعملا، وأن ننفض من قلوبنا الكراهية، إن من يعيد إلى الرحم أرحامه، ويعيد صلات الأرحام، فله أجر عظيم، **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }**. (الشورى–١٣). إنها مشقة إعادة ترميم الجدر المتهرئة البالية والتى تصدقها عقول لا تستطيع أن

تقرأ كتابا أو تفتح غلافا، وغابت عقولهم وتاهت قلوبهم، إنه مشقة إعادة صلة الأرحام، ان من يدعو لصلة الرحم له أجران، اجر جهاده لإعلاء كلمة ربه واجر تنفيذ وصية رسولنا «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»، إنه فضل عظيم لمن يصل رحمه، فى بسط رزقه وهى من موجبات دخول الجنة، واعلم يا من تحاول أن تظل كما أنت فإن عقوبة قاطع الرحم فى الدنيا لا يقبل عمل قاطع رحم، وانتم يا من ظللتم فى نفث أكسجين الكراهية القاتل فى آذان أبنائكم اتقوا الله فيهم وفى أنفسكم، وتذكروا قول الله تعالى: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**. (فصلت–٣٤). ما أجمل أن التسامح فى جوهره العميق من الداخل ليكون زينه على صدرونا، إن عدم التسامح هو إيذاء الآخرين بسبب شيء حدث فى الماضى وانه يمكن أن نفتح أعيننا على مزايا الآخرين، إن السماح هو الجود والصفح والتساهل والغفران وما أجمل الحياة أن تكون بهذا الشكل، ولن يتأتى التسامح الا بتقوى الله، وتذكروا قول الله تعالى **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }. وإننى أذكر نفسى بقول الله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. (٢٨١-البقرة)**. تذكر يا قاطع رحمك ويا من تعبث فى أرحامك بالقطع بعد مدت اليد إليك لإعادتها إن هذه الآية تذكرك بأن مغادرة الحياة تأتى ولا نشعر، ففى كل لحظة تغمض عينك نوما فأنت مغادر الدنيا، فاعمل صالحا قبل أن تغادر القطار. فلنتعلم كيف نزرع الحب، إن شتل الحب يقع عبئه الأول والأخير على النساء أولا ثم الرجال ودعمهم الروحى، وبالحب يبنى الناس ملكهم، لا يبنى ملك على حقد وأضغان.

المقال السابع
اتفاق العهود مشهود

جئت إلى جدتى، حيث عادتها، ورأيتها هذه المرة، تعانق شوق السكون، وتسقط من على رأسها أوراق الصمت، فتاه تفكيرى بين منطق العقل وإن بدا فى غير حالاته، وبين أفكار التمرد التى أجدها بداخلى حيث تحملنى رياح الشك مطوية فى بحور الظنون ما أفيق منها إلا بتعاليم جدتى، التى تأخذنى لبر الأمان، حيث إن نزيف الشك يغرق شمعة الأمل من صحة الأمر، وهنا أتساءل: لماذا تغيب عنا الأشياء، ويبتلعها كثبان اليأس، حين لا ندرك ما لا يدرك؟ رأيت جدتى تحرك عصاها نحوى وتقول لى: فيم تفكر؟ قلت لها: يا جدتى، أفكر فيما ذكر من أركان الإرث الثلاثة، والشروط الثلاثة، وسبب الإرث، فقالت: ويأتى يومنا هذا لنتحدث عن أنصبة المواريث ومن المستحق ومن المحجوب؟ فقلت لها: نعم يا جدتى، فقالت: اترك هذا اليوم، وتعال أوضح لك أمرا. وقبل أن توضح لى جدتى ما أرادت أن تعلمنى إياه وجدتها وكعادتها تخط على الأرض ثم تتمتم بكلمات شعرها وتنظم قريض الشعر المعتاد:

مَنْ يَمْنَع عنى رِكَابَ الهوى ففى غَيِّه كثيرٌ ومِنْهُ غَوَّى
يُحَرِّكُنا الزمانُ رِيحاً هَوَّى فأى طريقٍ نَسْلُك الخُطَى
أَعيُنٌ عُمِيَّت بأجسادٍ تُبْتَلى وأعمالُ المرءِ كَفَّى رَحَى
مَنْ يُسارعُ عُمْرَاً طُوى فكتاب العمرِ مِنْكَ اِنْطَوى

فقلت لها يا جدتى ماذا تعنين من الشعر وماذا تقصدين؟ فقالت: يا بنى، إن الحياة قصيرة قصر غمضة العين لا ننتبه إلا وقد غادر ضوء العين مقلتيك، انها أقرب ما يكون إلى النهاية فى كل لحظة واسمع الآية {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الزمر:٤٢)، يا بنى على الرغم من أننا نغادر عالمنا كل لحظة، وإننا وقعنا ميثاق الحياة منذ أن خلقنا إلا أن كثيرا منا ينقض عهده إلا من رحم، وكأنه مخلد، فقلت: يا جدتى وما سر الخلافات؟ قالت: كثيرة، وتعالى أعلمك مفردات النزاع والاتفاق والمخاصمة حتى لا تقع فى خطأ الدلالة على الكلمات، فقلت لها: أفيضى من بحر علمك يا جدتى، ثم تحدثت مع نفسى وبين نفسى و قلت: نعم كلنا نحتاج جدة.

رجعت جدتى للخلف وقالت: يا بنى هل يمكن أن تحدد لى معنى اتفاق؟ فقلت لها: يا جدتى إن معنى الاتفاق كأن أتفق أنا وأنت على أمر ما، قالت وان لم نتفق ماذا يكون بيننا ؟ يكون يا جدتى بيننا نزاعا إذن وما هو النزاع ؟ قلت لها خصومة يا جدتى، قالت إذن يا بنى إن الاتفاق هو اتفاق يتم إما لتوافق رأيين أو أكثر أو انه اتفاق على إثر نزاع بين طرفين أو أكثر، وفى حالة النزاع أو الخصومة يا بنى لا بد من إحالة النزاع إلى مجلس للحل، فقلت لها يا جدتى هل الاتفاق يحتاج إلى شهود، أو توثيق، وهل يعتبر الاتفاق الموثق عهدا ملزما، فقال يا بنى عن أى العهود تتكلم عهود الدنيا التى يصنعها البشر، ويناقضون أمرها حسب أهوائهم، ام العهد مع الله، يا بنى تعلم منى و انظر إلى الآية التالية **{الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** . (البقرة: ٢٧). حين تحدثنا يا بنى عن أن العدالة فى الميراث وإن ذلك يؤدى إلى ربط العلاقة الاجتماعية، فقاطعتها فقلت لها: يا جدتى هناك من الأمثلة التى تحدث أمامنا وذكرت فى أمسياتك لى، تختلف ويحدث الخصومة فيها، فقالت: يا بنى ثلاث صفات إن وجدت فاعلم أن من جمعها كان من الخاسرين، إذا نظرت للآية يا بنى تجد أولا : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. ثانيا : الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل. ثالثا : الذين يفسدون فى الأرض. هؤلاء هم الخاسرون يا بنى.

يا بنى إن ترك المنهج القويم والشروع فى تفصيل الهوى بهوى النفس لهو الثوب الفضفاض وغير المحكم يضعه البشر لأهداف تخدمهم فى المقام الأول ونسوا جميعا ميثاق الله وعهده، فقلت لها: يا جدتى، إن الحدث جلل وعظيم فقالت: اسمع يا بنى، إن هناك ميثاقا مشهودا، شهدته كل الخلائق، فقلت

لهـا: زيـدى لى يـا جدتـى كيـف؟ فقالـت: هـل تعلـم معنـى الغيـب؟ فقلـت لهـا: علمينـى يـا جدتـى، فقالـت: سـجل يـا بنـى معنـى الغَيْـبُ هـو يعنـى كلُّ مـا غـاب عـن الإنسـان، سـواء أكان مُحَصَّـلاً فـى القلـوب أم غير مُحَصَّـل والله سـبحانه وتعالى يا بنـى عَـالمُ الغيـب والشـهادة، وسـبحانه وتعـالى عـلام الغيـوب، عَـالمٌ بِمَـا خَفِـى وَبِكُلِّ الأَسْـرَارِ وَبِمَـا سَـيَحْدُثُ، ومعنـى عـالم الشـهادة هـو مـا يعنـى عـالمُ الأكـوان الظاهـرة، والغيـب يـا بنـى مـا لا سـبيل للإنسـان إدراكـه واسـتمع إلى قـولَ الله تعـالى، اسـتمع إليـه جيـدا ولا تـدع فرصـة إلا وأن تذكـره وتتذكـره وتبلغـه وتعلمـه، إن هـذه الآيـة يـا بنـى هـى آيـة الميثـاق الموقـع علـى أنفسـنا، إن هذه الآيـة تعنـى أن هناك عهـد وميثاق مـع الله تم توقيعـه بمعرفتنـا نحـن شـهدنا عليـه فاسـتمع للآيـة يقـول الله جـل جلالـه **{وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين}. (الأعراف:١٧٢).**

فقلـت لهـا: مـا معنـى هـذا يـا جدتـى؟ قالـت: يـا بنى، مـاذا قالـت ذريـة آدم فى الآيـة؟ فقلـت لهـا: قالـت كمـا جـاء فـى قـول الله تعالى: **{بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)**، فقالـت يـا بنى، لقد شـهدنا يا بنى على كل شيء وقـد تم توقيـع الاتفـاق ونحـن فى عـالم الذر حين قـال المولى سـبحانه : **{ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ١٧٢ أوتقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون}. (الأعراف:١٧٣).**

يـا بنـى حـين يفكـر البشـر فـى يـوم مـا أن يجمعـوا الدنيـا فـى قريـة صغـيرة رغـم إبعادهـا إلا أنهـم لـن يتفقـوا، لأن الأطمـاع كثـيرة، وغوايـة النفـس تحتـاج مجاهـدة، وجهـاد النفـس مـن النفـس مـن أشـق أنـواع الجهـاد، إن جهـاد النفـس يـا بنـى عليـك أن تجاهدهـا بـأن تتعلـم الهـدى وجهـاد الشـيطان **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}**. (فاطـر–٦). إن جهـاد الشـيطان هـو دفـع مـا يلقـى إلينـا مـن الشـبهات والشـهوات والشـكوك فـى الإيمـان، يـا بنـى إن درجتـك فـى التقييـم هـى حسـب درجـة جهـادك فى الدنيـا وإن الميثـاق الـذى رأينـاه واطلعنـا علـى بنـوده فـى عـالم الـذر، هـو بالنسـبة لنـا ككراسـة الشـروط، فـإن كراسـة الشـروط علينـا أن نلتـزم بهـا ونقرأهـا جيـدا، ولا نتهـاون فـى أى مواصفـة مـن مواصفـات كراسـة الشـروط الإيمانيـة.

فقلت: يا جدتى وماذا يعنى ذلك؟ فقالت: يا بنى، لقد تم توقيع الميثاق قبل أن نولد، وما نأتى به فى الدنيا خارج هذا الميثاق وخارج هذا الاتفاق لهو من هوى النفس و هو مخالف، فما أصعب ذلك يا بنى، إن العقل والفهم والنطق هو استيعاب العهد، يا بنى اعلم أن كل ما عُسِّرَ على العقل تصوره، يَكْفِى الإيمان تقبله إذ إنه جاء من عند الله، لقد «أشهد الله جميع خلقه على نفسه منذ البداية، ولم يتخلف عن تلك المشاهدة مخلوق سابق أو لاحق، يا بنى إن العهد ملزم وان لم تتذكره، حتى وإن نسيته، يا بنى إن الميثاق شاهد علينا، وقد شهدنا على أنفسنا وما نخالفه فى الدنيا سنحاسب عليه، وهذا لا يعنى فى المواريث فقط إنما فى كل الأعمال وتذكر قول الله عز وجل: **{أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون}. (المؤمنون: ١١٥)**. وصمتت جدتى.

المقال الثامن
مؤن التجهيز أجور حمَّال

وكعادتى ذهبت حيث تجلس جدتى، فلم أجدها، فانتظرت، حيث أنى لم أعتد أن أطرق باب غرفة جدتى فى أوقات معينة، وأفضل انتظارها، تأخرت جدتى، فازداد قلقى عليها، أن يكون قد أصابها مكروه لا قدر الله، واطمأن قلبى حين وجدت جدتى تقرع علىَّ بابى، وهى إشارة يطلق عليها إشارة استدعاء، فذهبت إليها، وأخذت بيدها، وقالت بصوت غريب: مؤن التجهيز أجور حمَّال، مؤن التجهيز أجور حمال، ومازالت على خطواتها المستقيمة، وتستند على عصاها، وبظهر بدا الانحناء فيه، أجلستها فى مقعدها، وكعادة جدتى كانت تتمتم دوما بالشعر:

أيا دنيا كم من سعادة عشنا ... وكم من غيب بآخرة يأتينا
سكنا الدنيا بدار نحن بنينا ... وجنة الآخرة دار ساكنيها
كم من حفنة بالمال فى مِلْكٍ ... ومُلْكُ الله ما ينفد بجامعيها
لا المال يبقى ولا قوة أتيت ... أغنت من خلفها هم تاركيها
هذه الأموال كم تصارعنا ... بغية ماذا فمن بعد مالكيها
فبين صبيحة وليل نرى ... غفوة ما نعد لدنيا مغادريها
فكل نفس تسكن الموت ... وما تدرى من منا موقظيها
إن الحياة كتاب وعهد لنا ... ميثاق الذر وكل شاهديها
إن المكارم فى الدنيا بناء ... دين وعقل فمن منكم بالغيها
بالصبر تنل ما كتب ... وتحلى باللين لا غلظة كارهيها

وتجنب الكبر فى قوم إن علوت فما أنت بالمال بانيها
البر فى اهلك عنوان وبالحب ازرع دينا تكن ناجيها

ما أجملك يا جدتى، فى زهدك وعلمك ويقينك، قالت يا بنى إن الإنسان الذى يعيش الحياة يقينا سلم بما تقدمه أيادينا، ورغم صعوبة من يتمسكون بقيمهم وأخلاقهم، ألا أنه مازال هناك الكثير يا بنى خارج نظام المحبة والألفة، فقلت لها: يا جدتى، همهمت مؤن التجهيز أجور حمَّال، مؤن التجهيز أجور حمَّال، فماذا كنت تعنين؟ فقالت: يا بنى بعدما علمتك أن تهتم بعلم الفرائض، كلنا يا بنى لنا موعد لا نعلم متى نغادر وكيف فغيبيات الله خمسة، **{إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير}. (لقمان-٣٤)**. كلنا راحلون واستمع يا بنى لما أقول جيدا، فبعد الرحيل، وعند الموت هناك أمور يجب أن تعرفها فقلت لها: وما هى يا جدتى؟ قالت: الحقوق التى على الميت فيما يخص التركة، فقلت: وما هى يا جدتى؟ فقالت: سأذكر لك اليوم هذه الحقوق يا بنى أول الحقوق هى التجهيز لعالم الرحيل للميت، فكل النفقات على الميت من غسل وحنوط، فقلت لها ما معنى الحنوط يا جدتى؟ قالت: يا بنى إن الحَنوط هو كلّ ما يُطيَّب به الميِّت من مسك وعنبر وكافور وغير ذلك ممّا يُذَرّ عليه تطييبًا له وتجفيفًا لرطوبته وكل ما ينفق على الكفن وأجور حمال وحفر القبر ونقله من مكان إلى مكان، يعنى إذا أوصى الميت برغبته فى مكان غير بلده مثلا، وأجور الدفن وكل ما ينفق حتى دفنه، فقلت لها: ومن يدفع ذلك يا جدتى؟ فقالت يا بنى إن من يدفع تكاليف الدفن تؤخذ من التركة إن لم يتبرع بها أحد.

فقلت لها: يا جدتى وماذا بعد التجهيز للميت؟ فقالت: الحقوق التى على الميت يا بنى تنقسم نوعين الحقوق العينية وهى متعلقة بعين التركة مثل البيت المرهون أو عبد له جناية وعليه دية أو بقرة أفسدت زرعا وهذه الحقوق يا بنى يجب سدادها قبل التى فى الذمة وبالاتفاق لأنها تمنع تصرف التركة فتكون الملكية ضعيفة، فلا بد من فك الحجز ودفع الحقوق المتعلقة بعين التركة أولا. قفلت يا جدتى هل هناك حقوق أخرى غير الحقوق العينية؟ قالت: هناك

يا بنى حقوق فى الذمة وهى مقسمة إلى جزئيين حق الله من زكاة مال لم تدفع أو كفارات يمين أو نذر وغير ذلك، أما حق العباد كالديون التى على الميت لعباد الله واعلم يا بنى أنه يجب ألا يكون هناك دين يستغرق التركة كلها. فقلت: ما معنى يستغرق يا جدتى؟ قالت: يستغرق هنا يا بنى تعنى تأخذ، فان وجد دين يستغرق كل التركة فلا ملكية خلفية.

نظرت إلى جدتى وقلت لها: ثم ماذا بعد يا جدتى؟ فقالت: الحق التالى يا بنى هو الوصية فقلت لها: وما معنى الوصية؟ قالت: الوَصِيّةُ هى ما يُوصَى به والوَصِيَّة الواجبة هى الوصيَّة التى تكون فى حدود الثُّلث، بشرط أن يكون مستحقّها غير وارث، فقلت لها: يا جدتى يقول الله تعالى فى سورة **النساء آية ١٢{من بعد وصيَّة يُوْصَى بها أو دين}**، فلماذا يا جدتى كان الدين المستحق مقدما فى التركة على الوصية رغم أن الله قدم الوصية على الدين كما جاء بالآية؟ اعتدلت جدتى وقالت: يا بنى إن الحكمة من تقديم الوصية على الدين أن الديون حق ثابت فى ذمة المدين قبل الوفاة وبعدها، ولها مطالب إذ لصاحب الحق مقال، وكما أخبرنا رسول الله . أما الوصية فهى تبرع محض وبر صلة وليس لها مطالب، فلئلا يتهاون الناس فى أمرها، قدمها الله تعالى فى الذكر، منبها على وجوب العناية بها كالعناية بالدين.

يا جدتى كما ذكرت لى أن الوصية تكون فى حدود الثلث من التركة فهل إذا زادت عن ذلك تحتاج إلى إذن الورثة؟ اعتدلت جدتى مرة ثانية وقالت: اسمع يا بنى إذا زادت عن الثلث لغير وارث أو كان الموصى إليه وارثا **(سواء كانت الوصية بالثلث أو بأقل أو أكثر)** فلا بد من رضى الورثة جميعا وإذنهم، إذ إن عدم الإذن وعدم الرضا يضر بالورثة ويكون مصدر خلافات وإذا لم يرض أحد الورثة ورضى الباقون فإن الذى لم يرض يأخذ حقه كاملا من الإرث وبنقص من حقوق الباقين الذين وافقوا وارتضوا بمقدار ما يُغطى ما أوصى به الميت لذلك الوارث، وعلى هذا يا بنى يشترط إذن الورثة فى الوصية إن كانت لغير وارث إن زادت عن الثلث.

يا جدتى ماذا بعد فى درس اليوم؟ قالت: يا بنى بعد أن تسدد الحقوق التى ذكرتها لك من التركة يوزع الباقى وهو الإرث على الورثة وبحسب نصيب

كل منهم، وماذا عن الإرث يا جدتى؟ فقالت: هل نسيت ما علمتك الإرث يتضمن الأركان والأسباب والشروط وهو ما علمتك إياه فى دروسى السابقة وما يتبقى فى الدرس هو الموانع فى الإرث وحجب الإرث ومن المستحق ونصيب كل منهم، وهذا ما سأوضحه لك فى درس الغد، وأذكرك مرة أخرى عن الركن والسبب والشرط.

اسمع يا بنى إن الإرث لغة العدل بين البشر فإذا أغرقتهم أهواءهم، ضاع الإرث بين المورثين، وإن جار أحدهم على الآخر فإن أواصر الرحم تكون قد انتهت إلى الأبد.

المقال التاسع

ما وراء السبب

جاءت جدتى فى موعدها، وأساريرها متهللة، حيث إنها إذا بدت علامات الرضا عليها فبدت مبتسمة ورغم عمر جدتى إلا أنها دوما مبتسمة ابتسامة تحمل فى طياتها علامات الزمن وخطوط الزمن على تجاعيدها كأن التجاعيد هى سطور الزمن وشفرة العمر فى وجه جدتى، إن خطوط التجاعيد تمثل تقدير العمر المحفور فى نقاط الوجه، وبلغة هى لغة الجسد فى الزمن حين يحفر أحداثه فى دوائر حول العيون أو خيوط على الناصية أو فى ترهلات الوجنتين فيا لك من عمر تكمن تفاصيلك بين الوجنتين وفى رموش العين فتظهر على العيون أنوارا أو تظهر سوادا فكلما أحسنت عملا وحافظت عمرا بدت لك العيون بدرا، ها هى جدتى، بدأت أحاورها: يا جدتى سنتكلم اليوم عن ماذا؟ قالت: يا بنى اليوم سأذكرك أولا ببعض القضايا حتى تعرف الركن والسبب والشرط ولكن يا بنى إن الحكمة لن يتقى الله، واعلم أن لكل شيء سببا، وعليك اتباع ما وراء السبب فلا تنظر لسبب بالجمود، فحلول المسائل تحتاج المرونة وعلما واسعا فى مجالات كثيرة. إن السبب يا بنى يعنى التوصل إلى شيء ما مراد معرفته، وهو سبب حسى ومعنوى، يا بنى إذا أردت العلم فهذا شيء عظيم وإذا أردت أن تتفقه فى الدين فعليك بترك المعاصى وانظر للآية **{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يغيظ }. (الحج- ١٥)** . هذه الآية تمثل السبب الحسى، ما معنى هذا يا جدتى؟ فسرى لى الآية أولا، فقالت: يا بنى هناك بعض الناس يسلك طريقا فيراه مسدودا ويتحرك فى أى اتجاه فيرى عقبات، ويحاول أن يتجه يمنة أو يسرة فلا يفلح، ويحاول أن يسافر فلا يوفق ويقيم فى الأرض فلا يرتزق ويتزوج فيطلق ويعمل فيفصل، فمن يظن يا بنى أن الله

لن ينصره فى الدنيا والآخرة ؟! إن رحمة ربى وسعت كل شيء، فالخلق يا بنى عيال الله، إن الخلق عند الله سواسية وليس بينهم قرابة إلا طاعتهم له، فقلت: يا جدتى بافتراض ما قلت أن الأبواب مغلقة أمام الإنسان فكيف يغير وضعه؟، ابتسمت جدتى وقالت: إن هذا من السهولة يا بنى انظر للآية **{فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}. (الحج: ١٥)** ليقطع كل معصية ثم لينظر كيف أن الله تعالى يوفقه إلى سبيل الرشاد، وكيف أن الله يرزقه، ويسعده ويرفع مكانته، إن الوهم الأكبر يا بنى أن يعتقد المرء ان الله لا يرزقه فإن الرزق يا بنى مرتبط بترك المعاصى واستقامة الأمر، فإن من يعتقد ان الله لا يرزقه يكون قد وقع فى معصية، وانظر يا بنى إلى هذا التصوير الجميل فى هذه الآية **{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)} (الليل:٥-١٠)**. إن قانون التيسير والتعسير للعباد لهو قانون مرتبط بمخرجات أعمال الإنسان، ومدى ارتباطه بالله وطاعته، إن الطاعات مفتاح الأرزاق، يا بنى إذا نظرنا إلى كلمة فليمدد فهى تعنى البسط والانبساط والامتداد، فإذا أردت أن تكون مع الله بسط لك الرزق. إن الله سبحانه وتعالى لا يعذب عباده، فالله غنى عن عباده وليس ضدك ولا يكرهك بل يكره عملك، يا بنى إذا أتتك مصيبة فى حياتك فقم وفتش عن المعصية التى خلفها، فاعلم يا بنى إذا اجتمعت الورثة عليهم تطهير أنفسهم من المعاصى، حتى يتيسر لهم الرزق ويبارك الله فيه. دنوت من جدتى وقلت لها: أوضحت لى جدتى السبب الحسى الآن، فهل هناك سبب آخر قالت نعم يا بنى ان هناك السبب المعنوى كما جاء فى الآية **{وآتيناه من كل شيء سببا }. (الكهف- ٨٤)**.

وعدتنى جدتى أن تراجع معى الركن والسبب والشرط، فقالت فى عجالة: يا بنى، الأركان ثلاثة هى المورث والوارث والحق الموروث أى التركة، أما الشروط هى ثلاث أيضا وفاة المورث تحقيقا أى التأكد من ذلك، وحياة الوارث، أى ان الذى سيرث يكون حيا، والثالثة معرفة درجة القرابة للميت، أما أسباب الميراث هى ثلاثة هى النكاح والولاء والنسب، وقد شرحت لك الولاء من قبل تفصيلا.

فقلت: يا جدتى هل لى أن أسألك عن بعض الأمور؟ قالت: قل يا بنى،

قلت: كما تعلمت منك أن اللفظة ومعناها هى إدراك الأمر فى السياق فما معنى النكاح لغة؟ يا بنى ان النكاح فى اللغة يعنى الضم، ويقال تناكحت الأشجار إذا انضم بعضها إلى بعض، أما نَكَحَ الْمَرْأَةَ أى تَزَوَّجَهَا كما فى **(فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ)** – **النساء ٢٥**. أما النكاح شرعا يا بنى هو عقد الزوجية الصحيح وإن لم يحصل فيه خلوة أو وطء، جدتى هل لى أن أعلم معنى كلمة وطء، فقالت: وطئ يطأ وطأ، فإن وطء الأرض أى إذا وضع رجله عليها أما وطء الفرس إذا اعتلاها ومن هنا يعنى وطء زوجته إذا جامعها، وإنما سمى بالوطء لأن الجِمَاع فيه استعلاء، قلت: يا جدتى فى كلامك زواجا صحيحا فهل هناك زواج فاسد؟ فقالت يا بنى النكاح الفاسد مثل نكاح زوجة الأب، نكاح المتعة ثم قالت أوضح لك معنى نكاح المُتعة فهو شكل من أشكال الزَّواج الوقتى الذى يتحدَّد بزمن معلوم.، ثم أتبعت جدتى: و نكاح الشغار من الزواج الفاسد فقلت لجدتى وما هو معنى الشغار يا جدتى؟ فقالت: يا بنى الشِّغَارُ : أن يزوِّج الرجلُ قريبتَهُ رجلاً آخرَ، على أن يزوِّجه هذا الآخرُ قريبتَهُ بغير مهر منهما، ويقال شاغَر الرّجُلُ الرّجُلَ أى زوّجه أختَه على أن يزوّجه الآخرُ أختَه (بغير مهر فى الحالتين)، وقد نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عنه وأبطله بعد أن كان معروفًا فى الجاهليّة (لاَ شِغَارَ فِى الإِسْلاَم) فقلت لها: وهل هناك أنكحه أخرى فاسدة، قالت: نعم يا بنى نكاح التحلِيل فقلت لها ماذا يعنى التحليل، فاعتدلت جدتى وعَلمتُ أنها ستشرح أمرا هاما فقالت: يا بنى لقد فُسح للزوج المجال لإرجاع زوجته إن هو طلقها مرَّتين، ويسمَّى هذا «طلاقاً رجعيّاً»، قال تعالى :

{ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أوتَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} .(البقرة: ٢٢٩). فإن طلَّقها الثالثة : فإنها تحرُم عليه، ولا يحل له التزوج بها بعقد ومهر جديدين إلا أن تتزوج من آخر غيره نكاحاً صحيحاً، نكاح رغبة، فيدخل بها، ثم يطلقها، أو يموت عنها، قال تعالى : **{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }. (البقرة: ٢٣٠)** .وعَنْ عَائِشَةَ رَضِى اللَّهُ عَنْهَا : « **أَنَّ رِفَاعَةَ الْقُرَظِى تَزَوَّجَ امْرَأَةً ثُمَّ طَلَّقَهَا الطلقة الثالثة فَتَزَوَّجَتْ آخَرَ فَأَتَتْ النَّبِى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا.** [أى: لا يجامعها، وفهم الرسول صلى الله

عليه وسلم أنها تريد أن تعود لرفاعة] فقال صلى الله عليه وسلم: **(لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ** [كناية عن الدخول بها والجماع]) رواه البخارى (٥٠١١)، ومسلم (١٤٣٣) .

من هنا يا بنى لا يحل للمطلِّق، ولا للمرأة أن يحتالا على شرع الله للرجوع لبعضهما بما يسمى «نكاح التحليل»، وهو عقد له صور متعددة، منها : أن يقوم الزوج المطلِّق أو الزوجة أو وليها باستئجار «تيس» من البشر، فيشترط عليه أن يتزوج مطلَّقته، ويدخل بها، ثم يطلقها، مع إعطائه مبلغاً من المال أو أن يتزوج رجل تلك المطلقة بدون اتفاق منه مع أحد، وقصده : أن يحلها للأول، ثم يطلقها.ونكاح « التحليل « عقد محرَّم فاسد، ويستحق فاعله اللعن.

فقلت لجدتى يا جدتى وماذا بعد من أنواع النكاح الفاسد قالت نكاح أكثر من أربعة، إذن يا بنى الزواج الفاسد كما ذكرت لك والزواج الباطل هو النكاح الذى اختل ركنه، فقلت لها زيدى يا جدتى قالت سوف أحدثك عن الزواج يا بنى بعد ذلك، سكتت جدتى وقالت لى هل أزيدك شيئا؟ فقلت لها: على الرحب يا جدتى، فقالت: يا بنى الزوجان يتوارثان ولو كانا فى عدة طلاق رجعى (أى بعد الطلقة الأولى أو الثانية) أى ما لم تخرج من العدة. وإذا وقع الطلاق البائن فلا توارث بينهما، إلا إذا اتهم أحدهما الآخر أنه متسبب بالطلاق لحرمان الطرف الآخر من الإرث فالمتسبب يحرم من الإرث دون الآخر، فقلت لجدتى يا جدتى ماذا إذا تزوج رجلا فى مرض موته فهل يتم التوارث بين الزوج والزوجة، قالت :يا بنى العقد باطل عند المالكية، وصحيح عند الجمهور. نظرت إلى جدتى باستغراب فقالت: لماذا تنظر إلى هكذا؟ فقلت: ما فهمت معنى صحيح الجمهور ولا المالكية فقالت لى: يا بنى لقد اشتهر عند الناس أربعة فقهاء ولد أولهم فى أواخر القرن الأول وتوفى آخرهم قبل منتصف القرن الثالث أى أنهم عاشوا جميعا فى حقبة واحدة تبلغ قرنا ونصف أى مائة وخمسين عاما، أول هؤلاء الأئمة مولدا هو الإمام النعمان بن ثابت والمكنى بأبى حنيفة رحمه الله. ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٥٠ هـ ونشأ بالكوفة واشتهر بالفقه والرأى، أما الإمام الثانى من الأئمة الأربعة وهو الإمام مالك رحمه الله.ولد مالك سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩هـ أى بعد وفاة الإمام أبى

حنيفة بتسع وعشرين سنة. وكان من أعظم حسنات وبركات الإمام مالك تلميذه الشافعى رحمه الله وهو ثالث الأئمة وتوفى رضى الله عنه سنة ٢٠٤ هـ أى فى أوائل القرن الثالث الهجرى. أما الإمام أحمد بن حنبل فهو رابع الأئمة من حيث الزمن هو الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ولد فى ربيع أول سنة ١٦٤ هـ وتوفى ببغداد سنة ٢٤١ هـ فى ربيع الأول أيضا يوم جمعة وهو عربى الأب و الأم. فقلت لها هذا عن الأئمة الأربعة يا جدتى فماذا يعنى يا جدتى بالجمهور؟ فقالت: يا بنى يراد بالجمهور هو ثلاثة من الأئمة الأربعة بالاتفاق مقابل واحد وقد يطلق على الأئمة الأربعة.

فقلت لجدتى: يا جدتى إذا طلق رجل زوجته فى مرض موته هل ترثه أم لا ؟ فقالت: يا بنى هناك اختلاف فالشافعى ومن تبعه يقول إذا طلقها بقصد الإضرار بها أو بدون قصد سواء ثبتت التهمة عليه أو لم تثبت فلا توارث بينهما، والرأى هنا هو الوقوف عند القاعدة الأصلية، وهى أن البينونة قطعت الزوجية التى هى سبب الإرث، فقلت: يا جدتى ما معنى ما معنى البينونة؟ فقالت: يا بنى بانتِ المرأةُ عن زوجها، ومنه أى انفصلت بطلاق وهناك نوعان من البينونة بينونة صغرى: ما يمكن للزَّوجين فيها العودة بعقد ومهر جديدين، طلاق له رجعة، أما الثانية فهى بينونة كبرى: لا تصحّ المراجعة فيها إلاّ بعد أن تتزوّج الزَّوجة زوجًا آخر، طلاق لا رجعة فيه.

فقلت لجدتى: هل هناك رأى آخر يا جدتى فى رجل طلق زوجته فى مرض موته هل ترثه أم لا؟ غير ما قلته؟ فقالت: نعم يا بنى، الجمهور وهم أبو حنيفة ومالك وأحمد قالوا بتوريثها إذا طلقها بقصد الإضرار بها معاقبة له بالضد، ولكن اختلفوا فيما بينهم عن المدة، فعند أبى حنيفة المرأة ترث ما دامت فى العدة، أما مالك فقال المرأة ترث ولو تزوجت بعده، وقال أحمد المرأة ترث ولو بعد انقضاء عدتها ما لم تتزوج.

سكتت جدتى وقالت: أتريد أن تسأل؟ فقلت لها :

وَمّا سُؤالى إلا لِعِلْمٍ وفهمٍ منه أَنْتَفِعُ
إن السفينةً تَضِلُ إذا غَابَ عَنْها العَلَمُ

المقال العاشر
نسب لا يزول ونكاح قد يزول

كعادة جدتي أن تأتي في مجلسها، فإذا كنت قد سبقتها تأتي إليَّ وتطرح السلام عليَّ فأرد عليها السلام، ثم تجلس جدتي وتقرأ كلمات وتزيد من الاستغفار فأسمعها تقول: اللهمّ إنّي أستغفرك لكلّ ذنب خطوت إليه برجلي، ومددت إليه يدي أو تأمّلته ببصري، وأصغيت إليه بأذني، أو نطق به لساني، أو أتلفت فيه ما رزقتني ثمّ استرزقتك على عصياني فرزقتني، ثمّ استعنت برزقك على عصيانك فسترته علي، وسألتك الزّيادة فلم تحرمني ولا تزال عائدا علي بحلمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين. ثم تزيد من الدعاء فتقول اللهمّ إنّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن دعاءٍ لا يستجاب يا ربّ العالمين، اللهمّ إنّي أعوذ بك من جهل البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. فسألت جدتي: لم الدعاء يا جدتي؟ فقالت: يا بني حذار والخمول، فالخمول عن طلب العلم من دواعي الفتور عن العلم، وأن الأمر إذا فتر برد وتجمد، وأن التحصيل يقل بالمغادرة عن أصول الأشياء، وأن تقادم المسائل يبطل مفعولها، وأن الفتور في العلم هو ابتلاء وامتحان، وأذكرك يا بني دوما بالاستغفار، فالاستغفار يطهر المعاصي ويطهر بدنك، ففتور العلم يكون بسبب الذنوب والمعاصي فتضرع إلى الله بالدعاء، **{لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (النمل: ٤٦)**، فأكثر من الاستغفار لأنكه معذب والعذاب لا يرفع إلا بالتوبة والرحمة من الله، وعليك يا بني بقراءة السيرة للعلماء الصادقين لأنها تقوى العزيمة فاقرأ قول الله: **{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}. (هود: ١٢٠).**

اعلم يا بني إذا ثبت الفؤاد بالاستغفار وسير العلماء والأئمة المهديين فإن عزيمة الخير تزداد، فثبات الفؤاد من ثبات الخير، وأعلم ان الصبر في العلم عاقبته كبيرة، **{جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}**. (السجدة: ٢٤).

فاعلم يا بنى بقدر تعبك ونصبك وجدك واجتهادك وثباتك وصبرك يكون فتح الله عليك وأعلم يا بنى أن العلم أرث نبوى فقلت: وما أسباب الفتور فى العلم؟ قالت: إن أسباب الفتور كثيرة ومنها ضعف الهمة وخور العزيمة، وإتباع هوى النفس وإغراء الشيطان، ومصاحبة الفاسدين.

«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة».

شكرت جدتى ودعوت لها بالعافية، وسألتها: يا جدتى ماذا فى دولاب العلم عندك اليوم؟ فقالت: يا بنى ان دولاب العلم كدولاب الملابس، عليك أن تحافظ عليها وأن ترتب أرفف العلم وأساسه ونحن نتحدث عن المواريث، وذكرنا قبل ذلك الكثير، فتكلمنا عن أسباب الميراث وذكرنا فى الحلقة السابقة النكاح ومن قبل ذكرنا الولاء واليوم سنتكلم عن النسب، وهى أسباب خاصة متفق عليها، وهناك سبب عام مختلف فيه وهو بيت مال المسلمين، فالمالكية وتبعهم بعض الشافعية قالوا بإرث بيت المال سواء أكان منتظما أو غير منتظم واستدلوا بقول رسول الله علية الصلاة والسلام: «أنا وارث لا وارث له»، أما الشافعية فى قولهم الآخر وتبعهم بعض المالكية قالوا بإرث بيت المال، حال انتظامه فقط، أما الأحناف والحنابلة فقالوا بيت مال المسلمين ليس سببا من أسباب الإرث مطلقا سواء كان منتظما أم غير منتظم، ومن أجل ذلك قالوا بتوريث ذوى الأرحام، مستدلين بقوله تعالى: **{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**. (الأنفال- ٧٥).

وماذا عن النسب وما معنى النسب يا جدتى؟ قالت: النسب يعنى القرابة، ويمكن أن نطلق على هذا النسب بالقرابة الحقيقية، وهى ما يعنى الاتصال بين إنسانين فى ولادة قريبة كانت أو بعيدة، فكل إنسان بينك وبينه صلة ولادة قربت أو بعدت من جهة الأب أو الأم أو منهما معا فهو قريبك.

فقلت لها: يا جدتى وما هى درجات القرابة؟ قالت: هى ثلاث يا بنى الأصول والفروع والحواشى فقلت لها: يا جدتى وما هى الأصول وما

هى الفروع؟ فقالت: أولا الأصول والفروع تعنى أهل الإنسان الّذين ينحدر منهم وذرّيته التّى تنحدر منه، أما الأصول يا بنى هم أبو الميت وإن علا بمحض الذكور، وأم الميت وكل جدة تدلى بوارث أو وارثة، والفروع هم أبناء الميت وآباؤهم وان نزلوا، أما الحواشى هم إخوة الميت وأخواته مطلقا، وأبناء إخوته الذكور لغير الأم أى أبناء الإخوة الأشقاء وأبناء الإخوة لأب وأعمام الميت الأشقاء، ولأب وإن علو ودنو الأعمام وإن نزلوا، فقلت يا جدتى عرفنا أن أسباب الميراث الخاصة هى النكاح والولاء والنسب فما أقوى أسباب الميراث؟ فقالت: يا بنى النسب، فقلت لها: ولماذا يا جدتى؟ فقالت: النسب لا يزول والنكاح قد يزول بوقوع الطلاق مثلا، النسب يحجب النكاح نقصانا ويحجب الولاء حرمانا وهما لا يحجبانه.

نظرت جدتى إلى محدقة بصرها كى تتابع مدى فهمى، فوجدت وجنتى احمرت، ففهمت اننى لم افهم العبارة فقالت ماذا بك؟ فقلت لها: ما فهمت يا جدتى، فقالت: هذا يجرنا إلى الحجب يا بنى ومعنى الحجب هنا يعنى حَجَبَ فلانًا : منعه من الميراث؛ لتقدّمه فى درجة الإرث عليه، والحجب يعنى المنع، وهناك نوعان حجب نقصان وهو حجب عن سهم أكثر إلى سهم أقل، وحجب حرمان وهو المنع من الإرث فلا ينال شيئا منه ٠

فقلت: زيدى أكثر يا جدتى، فقالت: يا بنى إن أنواع الحجب بشكل عام هى حجب أوصاف بمعنى وجود مانع من موانع الإرث كالرق والقتل واختلاف الدين، وهناك أيضا حجب أشخاص ويكون بسبب وجود شخص أو أشخاص أحق منه بالميراث وأولى وحجب الأشخاص هو حجب حرمان وحجب نقصان.

وسوف نتحدث تفصيلا عن أنواع الحجب يا بنى فى الحلقات القادمة، فقلت لها يا جدتى هل هناك طرق تثبت النسب؟

فقالت: هناك طرق متعددة فى حال اختلاف إثبات النسب يا بنى وهى الفراش الصحيح، وشبهة الفراش. ماذا تعنى شبهة الفراش يا جدتى؟ فقالت: شبهة الفراش، وذلك لو أن رجلاً تزوج امرأة، لكن وجد فى العقد ما يبطله بتخلف شرط، أو بوجود مانع فرزق منها بولد أو حملت، فالولد ينسب لمن

؟ أو تـزوج امـرأة بعـد أن غُـرر بـه وجـيء برجـل وقيـل : هـذا وليهـا وتبـين أنـه ليـس بـولى، فـلا يقـال: إن هـذا ولـد زنـا، إنمـا ينسـب إليـه، فهـذه شـبهة فـراش، ولـو تـزوج امـرأة فزفـت إليـه أخـرى بالخطـأ فحملـت، قـد يكـون زواجـاً جماعيـاً، بمعنـى أنـه وُجـد فـى مـكان واحـد متزوجـون كثـر، فـكل واحـد زف النسـاءُ إليـه زوجتَـه، فأُدخلـت عليـه امـرأة فتبـين أنهـا ليسـت هـى الزوجـة، وقـع لبـس وخطـأ، قـد يكـون عقـد علـى فلانـة فوقـع التبـاس عنـد أهلهـا فزفـت إليـه أختهـا، وظنـوا أنـه قصدهـا فـى العقـد مثـلاً، وهـو لم يعقـد عليهـا، ولم يقصدهـا، فـإذا حصلـت هـذه الأمـور فـإن الولـد ينسـب إليـه.

سـكتت جدتـى، فقلـت لهـا: هـل هنـاك يـا جدتـى مـا يثبـت النسـب فـى أشـياء أخـرى، فقالـت: نعـم يـا بنـى، فهنـاك يـا بنـى فـى إثبـات النسـب الإقـرار بحيـث يقـر الرجـل بـأن هـذا الطفـل ولـده، واعـترف بذلـك، ولـه شـروطه الأول: ألا يعـرف لهـذا الولـد نسـب إلى أحـد مـن النـاس فـلا يأتـى إلى ولـد معـروف النسـب ويدعـى بنسـبه، وألا يدعيـه شـخص آخـر وألا يكـون فـارق السـن غـير منطقـى بـين الأب والولـد، أو بشـهادة الشـهود. ذكـرت يـا جدتـى، ولـد زنـا فمـا معنـى ذلـك؟ فقالـت: يـا بنـى الزنـا هـو إتيـان الرَّجـل المـرأة مـن غـير عقـد شـرعى ومـا ينتـج مـن ولادة يكـون ولـد زنـا، فقلـت لهـا: ومـا موقـف ولـد الزنـا مـن النسـب يـا جدتـى؟ فقالـت: هنـاك يـا بنـى حالتـان وهمـا:

أن تكـون المـرأة متزوجـة فـكل ولـد تأتـى بـه حينئـذ إنمـا ينسـب للـزوج وليـس لأحـد غـيره، ولـو جَزَمـت أنـه مـن غـيره ممـن زنـا بهـا، إلا إذا تـبرأ الـزوج مـن هـذا الولـد بملاعنـة الزوجـة، فقلـت لهـا: يـا جدتـى مـا معنـى الملاعنـة ؟ قالـت :يـا بنى لعـن بمعنـى سـب أمـا لاعـن الرجـل زوجتـه أى بـرأ نفسـه باللعـان مـن حـد قذفهـا بالزنـى، فحينئـذ ينتفـى نسـب الولـد عـن الـزوج ويلتحـق بأمـه وليـس بالزانـى.

فقلـت لهـا: وضحـى يـا جدتـى. فقالـت: فـى اصطـلاح الفقهـاء يـا بنـى أن مـا يجـرى بـين الزوجـين مـن الشـهادات والأيمـان المؤكـدة فـى حالـة إذا رمـى الـزوج زوجتـه بالزنـا، ولم تكـن لـه بينـة علـى ذلـك وأنكـرت الزوجـة ذلـك إنـكاراً باتـاً، أو ادعـى الـزوج أن ولـد زوجتـه ليـس منـه، وأنكـرت هـى تلـك الدعـوى ولا بينـة، فإنهمـا يلجـآن إذ ذاك للملاعنـة علـى الصفـة التـى بـين الله تعـالى حيـث يقـول:

{والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين و يدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين}.(النور: ٦-٩).

فإن تم اللعان بينهما، حصلت الفرقة بينهما على التأييد ويدرأ الحد وتنتفى نسبة الولد الذى لاعنا فيه عن الزوج.

وما هى الحالة الثانية يا جدتى؟ قالت: يا بنى أن تكون المرأة غير متزوجة : فإذا جاءت بولد من الزنا، فقد اختلف العلماء فى نسب هذا الولد، هل ينسب إلى أبيه الزانى أو إلى أمه.

ثم ماذا بعد يا جدتى؟ فقالت: يا بنى إن الراجح هو عدم صحة النسب من السفاح، فلا يجوز نسبة ولد الزنا إلى الزانى، إنما ينسب إلى أمه، ولو بلغ القطع بأن هذا الولد لذلك الزانى المعين درجة اليقين. فقلت لها: وهل هناك ما يثبت النسب ومن الأحكام الأخرى؟ قالت: يا بنى هناك أحكام من الرضاع، والحضانة، والولاية، والنفقة، والميراث، والقصاص، وحد السرقة، والقذف، والشهادة،

سكتت جدتى، وقالت: ما عندك بعد؟ فقلت لها: يا جدتى

العِلْمُ مشقةُ جمعٍ وفيه نَصَبُ
نـــور العـــلم لِسانٌ منه فـقْـهُ
كَنْزُ الدنيا عِلمُ يُثّبَتُ به القَلْبُ

المقال الحادى عشر
الزواج مرآة للميراث

كعادتى انتظر جدتى حين تأتى، وتلقى السلام فأقوم تحية لها وأرد السلام، ولكننى هذه المرة أستعد لجدتى وما وراءها من خبايا فى العلم، فجلست منفردا قبل الحضور ارتمى فى حضن التأمل، أتحسس حولى قياسات الزمن، فكلمات جدتى أيقظت بداخلى الظل النائم فى السنين، إن اللوحات القديمة فى حاجة إلى إعادة صيانتها، وان كثيرا من العقول تحتاج إلى ترميم، ورغم أننى أجد بعضا من الصعوبة، وأشعر أننى أبحث عن معجزة تنقلنى إلى باب العلم حتى أرتمى على أرض البدايات حتى أصل إلى عنوان الشوق للعلم، فللعلم شوق كبير، وكلما علمت يوما علمت أنى أجهل، إن هذا السطح الصقيل الذى يعكس الضوء الذى يسقط عينا، فالضوء الذى يرتمى على أسطح العقول يعكس لنا الصورة القياسية، وإن الصور التى نراها لا تنعكس إلا على سطح يقبل انعكاس الصورة فتظهر أمامنا أن السطوح الخشنة فى القلوب تشتت ضوء العلم المتواجد فى حياتنا، هكذا أعيش داخل نفسى أحادثها، فسمعت وقع أقدام جدتى لتزداد فرحتى بها، فألقت التحية ونهضت لأسلم عليها، وجلست جدتى، وبعد دقائق قليلة قالت لى: يا بنى اقرأ لى من كتاب الله سورة الحجرات، فبدأت أستعيذ بالله فقرأت على جدتى وحين جئت للآية رقم ١٣ – **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**. (الحجرات: ١٣). فقالت لى جدتى: حَسْبُك. وإذا قالت لى حسبك هذا أى يكفى بمعنى قف عند الآية، فتوقفت وقالت جدتى يا بنى إذا تأملت فى الآية ستجد إن أكرمكم عند الله أتقاكم وهذا واقع فى دائرة التعارف بين الذكر والأنثى فالعلاقة بين الذكر والأنثى هى علاقة تقوى لأن الزواج يا بنى هو أوراق توقيع الميراث فمع الزواج نوقع

على ميراثنا بإرادتنا وان عدم التقوى يفسد الأوراق وهناك من يعبث فى العلاقة بينهما وتصبح الأوراق ليس لها أية قيمة، يا بنى إن أوراق الزواج ليس لها أى قيمة إذا غاب الضمير وفقدت التقوى، وإن مشاكل الزواج تنعكس على الورثة، فإذا خلت التقوى من القلوب كالسطوح الخشنة تشتت ضوء الحق بين البشر، فقلت لها: يا جدتى إن كل شيء محكم ومنظم، فقالت لى: يا بنى إن الإسلام نظم علاقة الرجل والمرأة ضمانا لسلامة الأنساب، وحرم أى طرق مخالفة تخالف العلاقة القائمة على النكاح الشرعى بشروطه المعتبرة، أو بملك اليمين الثابت، ولذا قال عز وجل: **{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ(٧) }. (المؤمنون:٥- ٧).**

ثم تابعت جدتى الحديث وقالت: إن الزواج وتبعاته تحدد خريطة الإرث، وقد ذكرت لك أهمية النسب يا بنى، واعلم أن النسب يثبت بطرق كثيرة وأن إنكار النسب شيء عظيم وانظر إلى العلاقات الغير صحيحة والتى يحدث إنكار النسب فيها، يا جدتى ما رأيك فى التبنى؟ قالت: يا بنى استمع إلى الآية يقول الله عز وجل: (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم «، يا بنى إن الإحساس داخل الأسرة بالمتبنى هو إحساس الأجنبى سواء كان معلوم النسب أو مجهولا، وكذلك إحساس المتبنى تجاه من يتبناه، وقد لا يتلاءم أخلاق المتبنى، فلا يحل له أن يطلع على محارم البيت، إن المقاصد تدرأ الشبهات يا بنى فقلت: يا جدتى ما معنى تدرأ؟ فقالت: يا بنى دَرَأْتُ الشُّبْهَةَ عَنِّى أى دَفَعْتُهَا، والحديث يقول : «ادْرَءُوا الحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ «. اسمع يا بنى إن الادعاء المجهول يذهب الحقوق أدراج الحياة وان النفوس المريضة توقع شهادة موت الحقوق وان همس الشياطين للقلوب المريضة تفسد علاقات البشر بين أنسابهم وأصلابهم. فقلت لها: يا جدتى ألا يكفى أن يكون الولد شكل أبيه حتى نؤكد به النسب؟ فقالت: يا بنى أعلمك شيئا، هناك ما يسمى بالقيافة فقلت لها: وما القيافة يا جدتى؟ قالت: القيافة هو اتباع الأثر واصطلاحا القيافة هى إلحاق الأولاد بآبائهم وأقاربهم، استنادا إلى علامات وإلى شبه بينهم، وهذا كان شائعا فى الجاهلية،

لكن نهى عنه الإسلام وجعل الموازين الشرعية فى كيفية إلحاق الأولاد بالآباء مع الجهل.والتعرف على النسب بهذه الطريقة باطل، فقلت لها: يا جدتى، لقد درسنا ان هناك طرقا لتحليل الوراثية حاليا درسنا منها فى درس العلوم، لدينا، فقالت جدتى لى: وما هى هذه الطرق يا بنى؟ فقلت لها: إنهم يطلقون عليها البصمة الوراثية، فقالت وما هى ضوابطها، فقلت لها: يا جدتى ضمان التحليل هو أولا أخذ العينة الصحيحة للمطلوب أخذ بصمته الوراثية، فلابد يا جدتى أن تكون معامل الفحص تتبع الدولة وعليها إشراف مباشر، فقلت لى: يا بنى إن خلت الضمائر فتوقع مالا يتوقع، هذا يا بنى لا يكفى من الضوابط فقلت لها: يا جدتى هناك خبراء، فقالت أهذا الأمر يشابه القائف؟ فقلت لها: عفوا يا جدتى ما هو القائف؟ فقالت: يا بنى القائف هو من يحسن معرفة الأثر وتتبعه والجمع من الكلمة قافة والقائف اسم فاعل من قاف أى من يعرف نسب الإنسان بفراسته ونظره إلى الأعضاء، فقالت: يا بنى إن سقط الإقرار فى النسب سقطت معه القيم، فإن لم يقر كلا الطرفين، حتى وان أخذت البصمة الوراثية كما تسمون فيظل مجهول الشك فى القلوب.

يا بنى لقد ذكرت لك من قبل طرق تحديد النسب لما له علاقة بواقع الميراث مستقبلا، قلت لها نعم يا جدتى فقالت لى: يا بنى هناك من الأمور التى ينفصل فيها الزوجان وتظل فروعهم والمستحقة للميراث فى حيرة من أمرهم، فقلت لها: كيف يا جدتى؟ قالت: إن الحِضانة يا بنى.. فقلت لها: ما معنى الحِضانة؟ فقالت جدتى: الولاية على الطفل لتربيته وتدْبير شئونه وهى نوعان يا بنى نوع يقدم فيه الأب عن الأم ومن فى جهة الأم من أمها وأختها والخالة، فقلت لها: لماذا يا جدتى؟ فقالت: ولاية المال والنكاح مثلا المسئول عنها الأب، فالطفلة الصغيرة ستتزوج فالذى يتولى ذلك الأب، أما النوع الثانى الذى تقدم فيه الأم على الأب، وهى ولاية الحضانة والرضاع وهى بشروط، عدم مخالفة دين الأب، ألا تكون متزوجة، ولا حضانة لمجنون أو معتوه، والبلوغ يا بنى والمقصود هنا يا بنى القدرة على التربية فإذا كانت الخالة أو الجدة عاجزة أو مريضة، وإن كانت الحاضنة تعمل ومشغولة طول الوقت فى عملها.

إن من المشاكل التى تتواجد فى علاقة الأسرة يا بنى كثيرة ومنها الرضاع {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. (البقرة:٢٣٣). كيف ذلك وهى أمه قالت يا بنى هل تعرف معنى الوالدات فى الآية؟ فقلت لها: وماذا تعنى؟ قالت: المطلقات ففى هذه الحالة الأم لا ترغب فى الرضاع أما إذا لم يقبل الطفل المراضع فالله تعالى يقول وإن تعاشرتم فسترضع له أخرى الطلاق ٦ ومعناها انه لا يجب على الأم ذلك لكن إذا كان الولد لم يقبل امرأة أخرى وسيموت فعندئذ يقال يجب عليها أن ترضعه فى هذه الحال ويكون التشاور بين الأبوين فى مسألة الفطام، وإذا تراضوا بذلك كما فى الآية، وما علاقة ذلك يا جدتى بالميراث؟ فقالت: انظر للآية (وعلى الوارث مثل ذلك) فقد اختلفوا فى هذا الوارث فقال قوم : هو وارث الصبى معناه : وعلى وارث الصبى الذى لو مات الصبى وله مال ورثه مثل الذى كان على أبيه فى حال حياته ثم اختلفوا فى أى وارث هو من ورثته فقال بعضهم : هو عصبة الصبى من الرجال مثل : الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا : إذا لم يكن للصبى ما ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه وقيل : هو وارث الصبى من كان من الرجال والنساء : وهو قول قتادة وابن أبى ليلى ومذهب أحمد وإسحاق وقالوا : يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا أو غيرهم.

وهناك يا بنى قضية أخرى هى قضية النفقة، فقلت لها وما المشكلة فى ذلك قالت: يا بنى النفقة تجب على الأب و هو مسئول على نفقة أولاده، وتكمن المشكلة يا بنى فى أن هناك كثيرا من الأزواج يقومون بابتزاز من تعمل من النساء لأخذ راتبها ويغضب إذا رفضت ويخاصمها ويضربها ويؤذيها ويبتزها بكل طريقة وربما يهجرها ويطلقها، وهناك تكمن المشكلة.

اعتدلت جدتى وقالت: يا بنى إن رفع القيد على الزواج كالطلاق مثلا يحمل فى طياته كثيرا من المشاكل مع مراعاة شروط العدة وغيرها وهو ما سنتناوله فى باب الزواج وهناك الكثير من مشاكل الطلاق تظهر فى الميراث، وقد تناولنا ذلك من قبل، وسوف نوضح لك يا بنى كذلك الخلع وتأثيره فى الميراث سألت جدتى: وما هو الخلع؟ قالت: هو ما كان بمعاوضة إذا طلبت الزوجة الطلاق فيقول الله تعالى: **{فلا جناح عليهما فيما افتدت به}**. (البقرة -٢٢٩).فالطلاق الذى يكون على عوض هو ما يعرف بالخلع.فقلت: يا جدتى المسائل متشابكة، فقالت: لا يا بنى إن أردت أن تحل الميراث ومشاكله فعالج مشاكل الزواج أولا، وقبل ذلك عالج الضمائر وابن جيلا تقواه فى القلب.

المقال الثانى عشر
مناظرة سلب الاختلاف تسلب حقوق الآخرين

لم أتعود أن أسهر، ولم يكن السهر ذو فائدة، حيث أنه بمجرد أذان العشاء وأغلب ما فى البيت الكبير يهجعون إلى النوم وكل يغلق عليه بابه، وهكذا كانت تمر الأيام، وقد كان أقصى ما نملكه هو مذياع يدار ببطارية، وتشحن البطارية بشكل دورى، وأنا على أعتاب الجامعة، وإذ يدخل بيتنا جهاز جديد، غير المذياع، إنه المرناة أو ما يسمى بالإذاعة المرئية، أو التلفزة، أو الإذاعة المصورة، وربما نكون من أول من تحصل عليه، ولكونه من الأشياء الجديدة والحديثة فى نفس الوقت، فقد جلست أمامه فترة طويلة، ليست عمدا ولكن مؤشر القنوات تحول إلى قناة جلست أمامها، ولا أخفى سرا، أن هذا الجهاز سلب من الوقت الكثير وغير أشياء كثيرة، فهو ضيف بلا استئذان، يدخل علينا وإن كان بيتنا له جدران، فبدت جلساتى مع جدتى هذه المرة مضطربة، حيث إننى شاهدت على جهاز التلفزة حوارات، فلم أمضِ ليلى فى النوم وظللت أشاهد هذا الجهاز وما يبث، والبث نوعان: بث حميد وبث غير حميد مثل السرطان، تخوفت من هذا الجهاز، هل سيصبح يوما ما جهاز تنوير أم جهاز تغرير؟ إن التغرير يأخذ أشكالا فى اللفظة فهو يعنى المكر أو التخديع أو الغبن أو الإغراء أو الاحتيال أو الخدعة أو الغش أو الخداع أو الإضلال أو الإغواء أو المراوغة، ولكن ليس الجهاز الذى يفعل ذلك ربما ما يبدر من أحد من ضيوف الحلقة، فجلست لمدة تجاوزت الساعات الخمس حتى أذان الفجر، وما كان على إلا أن أقوم لأصلى صلاة الفجر والذى سبقنى من فى البيت الكبير قبل الفجر بساعة لأداء صلاة الليل، وانتهيت من صلاة الفجر وأنا لا أستطيع الصمود، ولكن على أن انتظر جدتى لما تحمله و تدلى به إلى، وجاءت فى هيبتها وعادتها، ونظرت إلى وقالت فى حدة: ما بك

يـا بنـى؟ أراك مرهقـا وتبـدو عليـك علامـات الإرهـاق؟ فقلـت لهـا: يـا جدتـى إن أمـر الإرهـاق هـين، فقالـت: مـاذا إذن؟ قلـت لهـا: يـا جدتـى لقـد شـاهدت اليـوم وسمعـت حـوارا لا أجـزم يـا جدتـى أننـى استوعبت أغلبـه فقالـت هـات مـا عنـدك، فقلـت لهـا: يـا جدتـى، مـا هـى قواعـد الاختـلاف وإذا اختلفـت مـع أحـد، مـاذا أنـا فاعـل، فقالـت يـا بنـى يتوقـف علـى نـوع وموضـوع الخـلاف، فقلـت لهـا: يـا جدتـى ورد فيمـا سمعـت اختلافـا يـتردد بـين الضيـوف فـى حوارهـم وبدايـة تـرددت بعـض الكلمـات أتذكـر منهـا كلمـة الفقـه والشـريعة والحديـث، وورد ذكـر آيـات مـن القـرآن هـذه الكلمـات التـى وردت، وبعـض الكلمـات الأخـرى مـن سـند ومـتن وأصـول والـراوى، فقالـت: يـا بنـى إن الاختـلاف بـين أهـل الحـق سـائغ وواقـع ومـا دام فـى حـدود الشـريعة وضوابطهـا فإنـه لا يكـون مذمومـا بـل يكـون ممدوحـا ومصـدرا مـن مصـادر الإثـراء الفكـرى ووسـيلة للوصـول إلى القـرار الصائـب، أمـا يـا بنـى هنـاك آداب عامـة للمختلفين عليهـم أن يراعوهـا ليعـذر بعضهـم بعضـا، أولهـا العـذر بالجهـل، ولا يعنـى الجهـل بالشـيء يوقعـك فـى الجهالـة فربمـا لعـدم المعرفـة بالشـيء، وان عـدم المعرفـة بالشـيء لا يعـد جهـلا، بـل يتطلـب منـا الاجتهـاد فـى معرفتـه، ثانيـا يـا بنـى العـذر بالاجتهـاد، فأعـذار الأئمـة فـى الاجتهـاد فليـس احـد منهـم يخالـف حديثـا صـح عـن الرسـول عمـدا فـلا بـد مـن عـذر فـى تركـه، وهنـا الأعـذار ثلاثـة: أحدهـا عـدم الاعتقـاد بـأن الحديـث قالـه الرسـول، والثانـى عـدم الاعتقـاد إرادة المسـألة بذلـك، والثالـث الاعتقـاد بـأن ذلـك الحكـم منسـوخ فقلـت ومـا معنـى منسـوخ يـا جدتـى قالـت كَلاَمٌ مَنْسُـوخٌ يعنـى مُلْغـىً، أو لاَغٍ **{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.(البقرة:١٠٦)** . هنـاك يـا بنـى أيضـا العـذر باختـلاف العلمـاء، وهـو مـا يعنـى عـدم الإنـكار فـى مسـائل الاختـلاف ومسـائل الاجتهـاد، فمـن أتـى شـيئا مختلفـا فـى تحريمـه إن اعتقـد تحليلـه لم يجـز الإنـكار عليـه إلا أن يكـون مأخـذ المحلـل ضعيفـا ثـم ليـس للمجتهـد أن يعـترض بالـردع والزجـر (نهـى بشـدة) وهنـاك يابنـى الرفـق فـى التعامـل، هـو أصـل مـن أصـول الدعـوة ومبـدأ مـن مبـادئ الشـريعة، وكذلـك يـا بنـى أيضـا فـى عـدم التكلـم بغـير علـم (ولا تقـف مـا ليـس لـك بـه علـم)، وهنـاك أدب مراعـاة المصـالح الشـرعية عنـد الاختـلاف فـلا ضـرر ولا ضـرار فقلـت لهـا يـا جدتـى ومـا سـبب الخـلاف؟ فقالـت: أسـباب الاختـلاف كثـيرة، منهـا يـا بنـى أسـباب

ترجع إلى بلوغ الخبر والأثر، والقواعد التى يلتزم بها العالم فى تصحيح الخبر وتضعيفه واختيار معايير التعامل مع السنة وقرائن نسخ الأخبار وأحكامها وإلى اللغة العربية وضوحا وجلاء وغموضا وخفاء، كذلك يرجع الاختلاف إلى الأدلة المتعلقة بمعقول النص فقلت لها وما معنى معقول النص يا جدتى قالت أى منطقى، يقبله العقل ويمكن تصوُّره أو إدراكه وتصديقه، هذا يا بنى بالإضافة إلى مقاصد الأحكام كأنواع القياس والمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب فقلت لها: وما معنى الاستصحاب؟ فقالت: حكم بثبوت حكم حاضر، استنادًا إلى وجوده فى الزمن الماضى، إلاّ إذا كان هنالك دليل آخر يغيّر هذا المفهوم. بالإضافة إلى سد الذرائع، ويرجع يا بنى الاختلاف إلى الأعراف المعتبرة وتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان والموازنة بين المصالح والمفاسد.

فقلت لجدتى: هذا عن الاختلاف وأسبابه وماذا عن معنى الفقه؟ قالت: يا بنى إن للفقه العديد من المعانى اللغوية، الفقه هو: « العلم بالشيء، والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم... »، ففى هذا التعريف بيان أن الفقه هو مطلق العلم والفهم بالشيء، بمعنى أنك إذا علمت أو فهمت شيئًا فقد فقهته، ، فمن المعروف أن الفقه غالبًا ما يُعنى به الفقه فى الدين، فهذا ما جرى عليه العرف، وأن الذين لديهم فقهٌ فى الدين يسمون بالفقهاء. والفقه الإسلامى يُعنى بأفعال المكلفين، من حيث مطالبة الشارع الحكيم لهم بها، فتكون هذه المطالبة إما فعلًا كالصلاة والصيام، أو تركًا كالكذب والسرقة والزنا، أو تخييرًا وهى الأمور المباحة للمكلف فله أن يفعلها أو يتركها. والمكلفون هم المسلمون البالغون الراشدون العاقلون، الذين تتعلق الأحكام الشرعية بأفعالهم .وللفقه الإسلامى أصلان أساسيان وهما القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والأصول الأخرى من إجماع وقياس وغير ذلك ترجع جميعها إلى الكتاب والسنة .

فقلت لها: وما معنى متن الحديث؟ فقالت: هو غاية ما ينتهى إليه الإسناد من الكلام. أى أن متن الحديث هو ما انتهى إليه سند الحديث من قول أو فعل أو تقرير لرسول الله. فقلت لجدتى: وما معنى سند الحديث يا جدتى؟ فقالت: حديث له سند، ويعنى السند هنا مصطلحا فى الحديث بمعنى الرجال المحدثين الراووين له، فقلت لها: وما معنى الشريعة يا جدتى؟

فقالت: ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام سكتت جدتى. ثم قالت: ، ماذا دار يا بنى فى المناظرة التى تتحدث عنها؟ وماذا كان الاختلاف فيما بينهما؟ وهل هناك طريقة تصل بهم إلى الاتفاق؟ فقلت: يا جدتى ما استمعت إليه وبعد ما زدت إلى بالكثير من المفاهيم أقول: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم)، يا جدتى المشكلة تكمن فى مفهوم أدب الحوار والنقد، والنقض، وتكمن فى دلالات اللفظ، والسياق، فى الحوار، وأن اخطر ما فى الموضوع هو استخدام لألفاظ لا ترقى إلى درجات البحث العلمى، فإن أى لفظه يجب أن تفهم من معناها ودلالة الحرف يجب أن يؤخذ بعناية، كذلك التعميم على المطلق أمر غير مقبول، كذلك ما توصلت إليه أنه يجب إلمام أى عالم أو أى باحث بقواعد التعرض للتشريع أو الفتوى أو الفقه، وإن القضية ليست حكرا على أحد ولكن ترد الأمور إلى أصلها وإلا أصبح كل شخص يأخذ على هواه، وهو شيء مرفوض، فقالت: يا بنى على من يريد أن يعرض أمرا أو يشرح أمرا أو يتعرض لأمر فى قواعد العلم والعلوم الشرعية عليه أن يتبع قواعد العلم وإلا أصبحت التأويلات على هوى كل فرد بما يرغب هو، ولكن بما يجب أن يكون فتعم الفوضى ويظهر التوحش ونصبح فى غابة الاختلاف ونصبح فرقى، وإذا أرادت الأمة أن تجتمع على أمر فعليها أن تنقح العلم قديمه لما يعاصر حديثه، وبأدوات معاصرة بما لا يخالف المنهج العلمى وأصوله، وألا يفتح باب الاجتهاد إلا من باب العلماء، وليس لمن لا يملك علما أو قواعد كما ذكرت لك يا بنى، وإذا أراد شخص ما أن يجتهد فليتبع قواعد الاجتهاد، يا بنى إن ديننا الحنيف بدأا بأول آية هى اقرأ، و أيا كان الخلاف بين المختلفين، فلا يهم من يفوز، فهناك من يرغب أن يفوز لنفسه لا لدينه، بل ما يهم هو أن تفوز الأمة بخير الاختلاف إن كان مبنيا على حق وليس على باطل.

المقال الثالث عشر
إثبات الدليل يمحى عنصر التضليل

غفوت العين لحظة وكأنها ترى من بعيد من خلف الجفون، فترى خارطة كبرى لعائلة تربطها رابطة رحم، فقلت: هل يكفى أن تكون الأسماء المزيلة نهايتها دليلا على إثبات بنوتى، أم أنه لمجرد شهادة ميلاد، تضم اسم الابن أو الابنة ثم الأب ثم الجد أهكذا هى مفهوم العائلة التى تشارك بعضها البعض فى الفروض، والفروض كما علمتنى جدتى بأن المفرد فرض وهو يعنى نصيب مقدَّر شرعًا للوارث، وأما أصحاب الفروض هم أصحاب الفرائض، وهم الورثة الذين لهم أنصبة مقدَّرة فى القرآن أو فى السُّنّة أو بالإجماع، وهم اثنا عشر شخصًا : الزَّوج، الزَّوجة، الأب، الأمّ، الجدّ الصحيح، الجدّة الصحيحة، البنت، بنت الابن، الأخ لأم، الأخت الشقيقة، الأخت لأب، الأخت لأمّ، وإذا كان الدليل العائلى هو أوراق رسمية فلا قيمة له إن خلا من حب، فإن الميثاق فى صلة الرحم موصول برحم يمتد بغذاء الحب ورباط التراحم حتى لا يكون رباط الرحم من الأسماء المفقودة فى ذاكرة الأرحام:

رِبَاطُ الرَّحِمِ مَوْصولٌ بِه قُلوبُ حُبٍ نَبْتُ سَمَاءُ
إِنَّ البُكَاءَ لَيْس على اسمِ بِميلادٍ فإن البُكاءَ جُفَاءُ
إِنْ خَلا الحُبَ فِى قَيدِ مِيلادٍ فَمَا قِيمَةُ رَحِمٍ خِلاءُ
رَحمةُ وحبٌ وصلةُ بَين كُلِ رَحِمٍ لا يُطلبُ رَجَاءُ
دَمُ الرَّحِمِ لَمْ يَكُ هَيِّنًا فَكَيْف لَوْنُهُ فِيه نحنُ غُرَبَاءُ

إن الأسماء المحفورة فى ذاكرة الأيام لن تلتئم بغير الاجتماع على مائدة الأخلاق والسير على طريق الاستقامة المزين بورود الأمانة من حديقة العفاف مزين ببيت

جدرانه من الصدق، سجاد منزوع منه حشيشة الكذب. إن الفروض بين الأرحام ما لم يكن الرحم موصولا بالمودة والرحمة والعدل والحب فى بصمتهم الوراثية فلا تغنى عنهم أوصالهم وأرحامهم ويكون رابطة الدم بينهم سهلة التفكك.

جاءت جدتى فقمت لتحيتها وألقت السلام، ورددت عليها وجلست تستغفر كعادتها، ثم قالت: باسم الله، فقلت لها :ماذا عندك يا جدتى فى درس اليوم؟ فقالت: يا بنى سأتناول معك أدلة الفروض، الفروض يا بنى توزع بنسب منها النصف ومنها نصف النصف أى ربعا ومنها نصف الربع أى ثمنا، وهناك أيضا تلثان ونصف الثلثين أى ثلثان ونصف الثلث أى سدسا، وتكون على النحو التالى (نصفا، ربعا، ثمنا، ثلثان، ثلثا، سدسا) فالفروض ستة وآياتها بالقرآن يا بنى هى، فدليل النصف نجده فى الآية **{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ}**. (النساء– ١٢). فقلت لها: وما دليل الربع يا جدتى؟ قالت: وجهان فى الآية **{فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ}**. **(النساء-١٢)**. أما دليل الثمن يا بنى فى الآية **{فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ}**. (النساء– ١٢). وماذا عن دليل الثلثين يا جدتى؟ قالت : يا بنى إن دليل الثلثين فى قوله تعالى فى إناث الفرع الوارث: **{فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ }.(النساء- ١١)**. أما دليل الثلث فى قوله تعالى **{فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ}.(النساء- ١١)** وكذلك يا بنى فى قوله فى الأخوة الأم **{فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ}. (النساء- ١٢)** ودليل السدس يابنى **{وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ}**. (النساء –١١). فسألت جدتى هل يمكن أن تشرحى لى ذلك جزءا جزءا، فقالت يا بنى قبل أن اشرح لك أود أن أوضح لك أن آيات المواريث فى القرآن الكريم المتعلقة بـ (الميراث) هى خمس آيات سواء على وجه الإجمال أم على وجه التفصيل، ومن الآيات المجملة قوله تعالى: **{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً{٧} وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}.(النساء: ٧-٨)**.

ومنها كذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {٧٤} وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. (الأنفال- ٧٤:٧٥). وماذا عن الآيات المفصلة يا جدتي؟

الآيات المفصلة يا بني هي قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أو دَيْنٍ آَبَاؤُكُمْ وَأبناؤكم لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}. (النساء -١١).

وكذلك قوله تعالى: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزواجكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أو دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أو دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أو أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أو دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}.(النساء- ١٢).

وكذلك قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. (النساء-١٧٦).

فقالت لي جدتي: سأقوم معك بشرح كل نصيب لحاله، ومن يستحق هذا النصاب، ولنبدأ من الغد على نصيب النصف، فسكتت جدتي وسلمت عليها وغادرت المكان.

المقال الرابع عشر
الساتر

جلست مع ذاتى أخط تعبيرا فى لغتى وبلغتى، بمنهجى، المستمد من تعليمات جدتى، نظرت لمن حولى إلى بيتى، وأتساءل: إننا نرى البيوت من خارجها، ولا ننظر إلى ما بداخلها، وقد كان لدى اعتقاد كبير، وهو أن البيوت مجروحة تبحث عن ستر عوراتها، وإن مقومات البيوت هى مقومات الأفراد أنفسهم، ونظرت حولى حين يجلس المرء مع غيره فى الغرف المغلقة، إما يحجب الضوء إن كان الجو قيظا، أو عن عيون الآخرين، وإذا سمع المرء خطو أقدام تدنو يسارع أن يغلق الباب أنها طبيعة المستور داخل جلباب المرء وداخل البيوت المجروحة، فكل البيوت مجروحة وتحتاج إلى غطاء، والغطاء نوعان: غطاء ملموس يكون فى الماديات من جدر أو غيرها أو أبواب مغلقة أو بوابات ذات مزالق وهى قابلة للانكسار، أو فى جدر داخل بناء النفس وهى الأقوى مهما تعرت الجدر المبنية حولنا، ولكون الأصلاب امتدادا، تتفرع حول عميد العائلة، فإن الصلات تتصل طالما لا يغيب عن الروافد فرع وتظل الإشكالية متواجدة فى نزاع الأصول والفروع، وها قد انتهيت مع جدتى فيما قالت من توزيع الأنصبة، وبقى أن نتحدث عن نصيب وسهم كل من الأصول والفروع، وحيث كنت أضع تصورا أوقفت هذا التصور حتى لا أخطئ لحين مجيء جدتى، فجاءت إلىّ فى مجلسها الموقر وحسب ما عودتنى من إلقاء التحية وإلقاء السلام وبداية بذكر اسم الله ثم حمده ثم الدعاء تبدأ فى الحديث، وما إن تبدأ جدتى حتى يسرى بداخلى صوت يجادلنى، فأطرح على جدتى السؤال تلو السؤال، والصوت الداخلى يسرى ليكسر الحواجز لأتخطاها، ويبحث عن الثغرة التى تغطى ستائر الميراث، فقلت لنفسى، هل الكل يحصل على ميراث، وتوجهت بذلك إلى جدتى فقالت: يا بنى هل تعلم معنى حَجَب؟ فقلت لها:

يا جدتى يعنى منع فقالت فإذا قلنا حجب فلانا أى منعه من الدخول أو الميراث أى منعه من الميراث؛ لتقدّمه فى درجة الإرث عليه فقلت لها :إذن معيار الإرث بالإضافة لما ذكرت يا جدتى درجة تقدم الوارث من المورث فى الموروث أى التركة فقالت: نعم، وبالتالى هناك يا بنى حجب شخص يمنعه شخص آخر و يمنع الشَّخص من ميراثه أو يقل ميراثه، وهو نوعان : حجب نقصان وهو حجب عن سهم أكثر إلى سهم أقلّ، وحجب حرمان وهو المنع من الإرث فلا ينال شيئًا منه، هذان نوعان من الحجب يا بنى وأشرح لك ذلك أولا اليوم حتى حين نأتى لتوزيع الأنصبة سوف يعترضنا بعض من أنواع الحجب، فكما أوضحت لك حجب النقصان يعنى ميراث منتقص، أما حجب حرمان أى حرمان من الميراث ويمنع منه، وأعلم يا بنى أن موانع الحجب الموصوفة هى الرق والقتل واختلاف الدين، وهو ما نسميه حجب أوصاف، واما حجب الاشخاص بسبب وجود شخص أو أشخاص أحق منه بالميراث وأولى فهو حجب أشخاص، أما الفرق يا بنى بين حجب الأوصاف وحجب الاشخاص، فحجب الأوصاف يتأتى ويمكن دخوله على جميع الورثة لاحتمال قيام مانع كالرق والقتل واختلاف الدين وهذا يتأتى فى أى وارث سواء كان صاحب فرض ام عاصبا ذكرا كان أم انثى كبيرا أم صغيرا، وأعلم يا بنى حجب الأشخاص فمنه ما يدخل على جميع الورثة، ومنه ما يدخل على بعضهم، واعلم يا بنى أن المحجوب بالوصف كالرق والقتل واختلاف الدين وجوده كعدمه فلا تأثير لوجوده فلا يحجب غيره لا حرمانا ولا نقصانا بخلاف المحجوب بشخص فإنه لا يحجب أحدا حرمانا، وقد يحجبه نقصانا، فقلت لها: يا جدتى هل هذا يعنى أن الرقيق والقاتل والكافر كل محروم من الميراث بسبب اتصافه بالمانع وليس محجوبا والتعبير عنه بأنه بالمحجوب تجاوز بناء على أن الحجب فى اللغة المنع فهو ممنوع من الميراث، غير أن منعه منه حرمان؟ فقالت: المنع يا بنى للرقيق والقاتل والكافر لعدم أهليته له وان وجوده كعدمه حتى لو لم يكن للموروث وارث سواه فإن التركة تؤول لبيت المال.

وكما فهمت منك يا جدتى أن حجب الحرمان الذى هو مقابل لحجب النقصان فإن صاحبه أهل للميراث ولم يقم به مانع منه، غير أنه وجد من

هـو أولى منـه وأحـق بـالإرث ولـولا وجـوده لـورث المحجـوب حرمانـا، وربمـا حـاز التركـة كلهـا إذا لم يوجـد سـواه مثـل مـات عـن ابـن وأخ، فـإن الأخ محجـوب علـى المـيراث حرمانـا لوجـود الابـن، حتـى لـو كان الأخ شـقيقا لتقـدم جهـة البنـوة علـى جهـة الأخـوة، فـإذا لم يوجـد الابـن حـاز الأخ التركـة كلهـا ولعـدم وجـود المانـع مـن الإرث، وحجـب الحرمـان يقـال عنـه حجـب الإسـقاط عنـد المالكيـة.

سـكت قليـلا وقلـت لجدتـى: هـل لحجـب النقصـان أنـواع؟ فقالـت: نعـم يـا بنـى، إن لحجـب النقصـان سـبعة أنـواع منهـا أربعـة بسـبب الانتقـال مـن فـرض إلى فـرض أقـل منـه (أى مـن وريـث إلى وريـث)، وثلاثـة أخـرى بسـبب الازدحـام، تحدثـت جدتـى قائلـة: اسمـع يـا بنـى إن حجـب الحرمـان هـو أن يسـقط الشـخص كليـه مـن المـيراث لوجـود شـخص آخـر أحـق وأولى وهـو يتأتـى علـى الورثـة عـدا الأبويـن والوالديـن والزوجيـان وهـذا بالإجمـاع.

ومـاذا عـن أنـواع حجـب النقصـان الـذى ذكرتـه يـا جدتـى؟ قالـت: هـم سـبعة: أربعـة منهـم بسـبب، منهـم أولا انتقـال مـن وارث إلى وارث أقل منه (مـن فرض لفرض أقـل) كانتقـال الـزوج مـن النصـف إلى الربـع وانتقـال الزوجـة مـن الربـع إلى الثمـن.

أمـا ثانيـا انتقـال مـن تعصيـب إلى تعصيـب أقـل، والتعصيـب يـا بنـى فـى الفروض أى بـين الورثـة الذيـن لهـم أنصبـة مقـدرة قـى القـرآن أو السـنة أو بالإجمـاع، ففـى الحالـة الثانيـة كانتقـال الأخـت الشـقيقة أو الأخـت لأب مـن كونهـا عصبـة مـع الغـير تأخـذ الباقـى وحدهـا تعصيبـا. فقلـت لجدتـى: مـا معنـى عصَّـب الأخُ أختَـه فقالـت: حوَّلهـا مـن صاحبـةِ فـرضٍ إلى عَصَبَـةٍ يَـرِثُ بالتعصيـب. فقلـت لهـا: يـا جدتـى التَّعْصيـبُ فـى الفـروض. قالـت: وأصحـاب الفـروض هـم الورثـة الذيـن لهـم أنصبـة مقـدَّرة فـى القـرآن أو فـى السُّـنّة أو بالإجمـاع، وهـم اثنـا عشـر شـخصًا : الـزَّوج، الزَّوجـة، الأب، الأمّ، الجـدّ الصحيـح، الجـدّة الصحيحـة، البنـت، بنـت الابـن، الأخ لأم، الأخـت الشـقيقة، الأخـت لأب، الأخـت لأمّ.

أمـا ثالثـا هـو انتقـال مـن فـرض إلى تعصيـب أقـل منـه كانتقـال ذوات النصـف وهن البنـت وبنـت البنـت والأخـت الشـقيقة أو الأخـت لأب إلى التعصيـب بالغـير حيـث تـرث الواحـدة منهـن بهـذا التعصيـب أقـل مـن النصـف قطعـا.

أما رابعا يا بنى انتقال من تعصيب إلى فرض أقل منه كانتقال الأب والجد من الإرث بالتعصيب إلى الإرث بالفرض الذى هو السدس لا غير .

فقلت: يا جدتى اختلط على الأمر، فقالت: لم يا بنى؟ قلت: اختلط عندى بين الفرض والتعصيب والفرق بينهما، فقالت: سأوضح لك يا بنى، إن الفرض هو أن الله تعالى قد حدد للوارث نصيبا معينا والفروض هى نصف أو ربع أو ثمن أو ثلثان أو ثلث أو سدس.. أما الميراث بالتعصيب أى أقارب المتوفى الذين ليس لهم نصيب محدد. وهم يأخذون الباقى تعصيبا أى الباقى بعد أصحاب الفروض أو التركة كلها إذا لم يكن هناك أصحاب فروض وإذا لم يتبق شئ فلا يرثون وليس هناك مشكلة.وإذا كانوا ذكورا وإناثا يرثون للذكر مثل حظ الانثيين.

وهل هذا يعنى أن هناك نوعا أفضل من نوع؟، أجابت جدتى: لا يوجد نوع أفضل من نوع، أى أن الفرض ليس أفضل من التعصيب فالتسمية أتت من أن أصحاب الفروض كما ذكرنا أن الله تعالى قد فرض لهم نصيبا محددا، بدليل إن الابن مثلا ليس من أصحاب الفروض لأنه ليس له كسر معين لا ربع ولا نص وهو يأخذ الباقى تعصيبا أو الكل تعصيبا إذا لم يكن أصحاب فروض وهو فى نفس الوقت يحجب الإخوة والأخوات والفرع الأبعد منه..

فقلت لجدتى: وما هم الوارثون من الرجال؟ فقالت: الوارثون من الرجال ١٥:

الابن – ابن الابن – الأب – الجد – الأخ لأم – الأخ الشقيق – الأخ لأب – ابن الأخ الشقيق – ابن الأخ لأب – العم الشقيق – العم لأب – ابن العم الشقيق – ابن العم لأب – الزوج – المعتق، والآن أصبح المعتق غير موجود..

أما الوارثات من النساء ١٠:

البنت – بنت الابن – الأم – الجدة الأبوية (أم الأب) – الجدة الأمية (أم الأم) – الأخت لأم – الأخت الشقيقة – الأخت لأب – الزوجة – المعتقة.. والآن لا وجود للمعتقة.. فقلت لجدتى: ومن هم أصحاب الفروض، فقالت: يا بنى أصحاب الفروض اثنا عشر منهم عشرة بالنسب أى القرابة، واثنان بالسبب وهما الزوج والزوجة أما العشرة الذين بالنسب فهم ثلاثة رجال وسبع نساء

والسبعة نساء هن: البنت وبنت الابن، والأم والجدة، والثلاث أخوات: الأخت الشقيقة والأخت لأب والأخت لأم أما الثلاثة رجال فهم: الأب والجد والأخ لأم.فاحفظ يا بنى أصحاب الفروض الاثنا عشر، فغير ذلك يرث بالتعصيب سكتت جدتى وقال: فيم تفكر؟ قلت: لها يا جدتى إن خرجت القسمة من البيوت بدون عدل جُرِحَتْ، وإن انحازت عُوِّرَتْ، وإن سُتِرَتْ عوجت فقالت :إياك من ثلاث: الجُرْح والعِوَّر والعِوَّج، فإن الجُرْح إذا نُزِفَ ما يبقى ورثا، فهو استيلاء بدون وجه حق، وإذا عُوِّر الأمر ضل آخذيه فى الميراث طريقهم، وإذا سُتِّر أى غيب جزء من الميراث كذبا وتدليسا، ضاعت بركة الإرث، **{تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون}** (البقرة- ٢٢٩) فقلت: يا جدتى الأمر بات صعبا فقلت يا جدتى يزداد الأمر فيصبح صعبا فقالت يا بنى تعلم اللفظة يكن الأمر عندك سهلا، فقلت: كيف يا جدتى؟ فقالت: الميراث يا بنى منه ما هو فرض وعصب، وشرط القسمة فيه تتم بعد الحجب، إن كان حرمانا بنقص، منه وصف ومنه شخص، والنقصان بسبب أو برحم، تلك هى الأحوال يا بنى فاحفظها يفتح الله عليك فتحا واحصر كلمات لا تتيه أبدا.

فرض وعصب وحرمان نقص حجب، فارع قسمة الحدود من واحد وكسر.

المقال الخامس عشر
طَيبُ القلبِ مُستَحِرَ اللِسَانْ

وكعادتى انتظرت الجدة، كى أتعلم منها درس اليوم المعتاد، فهى بالنسبة لى هى خبرة الحياة، ومعالجة القلب من الغصة، ومذيبة اللسان من المُرَّة، فجاءت جدتى فقمت لتحيتها، هكذا علمتنى جدتى كيف أحترم الكبار، وعلمتنى كيف أنطق شعرا بلا غبار، وبدت جدتى تتمتم فى قولها وقالت أبياتا من الأشعار:

يا عَجَبَا فِى العِى مِن مُسْتَحِرِ اللِسَانِ
فالصمتُ سِتْر عِى مِنْ طَوْلٍ فِى بِيَّانِ

صمتت جدتى، وقلت لها: يا جدتى لم أَعِى بيت شعرك فهل لك فضل، أن تفسرى هذا البيت، فقالت يا بنى أما تعلمت منى أن للتفسير قواعد، فالتفسير يحتاج إلى معنى الكلمة، فى سياق العبارة حتى تصل إلى إدراك المعنى الحقيقى والمقصود، فالعَى يا بنى يعنى العَجْزُ عن التعبير اللفظى بما يفيد المعنى المقصود، أما قلت أنت لى لم أعِى فعَى الأمرَ، وبالأمرِ أى جهِله أو لم يهتد لوجه مراده، وهذه إشكالية كبرى، فقلت كيف يا جدتى؟ فقالت: دعنى أوضح لك كلمة مُسْتَحِر فقلت زيدينى علما يا جدتى، فكل جَهْلٍ مَنْقُوص عِلْم، وإنَّ الجَهالةَ مَنْ يَدَّعِى فَهْمَ كُلَّ كَلِم، فكلنا ناقص علم، فقالت جدتى: معنَى مُسْتَحِر يا بنى إن مُسْتحِرّ هو فاعَل من استحرَّ وهو يعنى تغريدا فإذا قلنا اسْتَحَرَ الطائرُ أى غرَّد فى السَّحَر، أما إذا قلنا مُسْتَحِر اللِسَانِ فهو يعنى شديد، فهل فهمت معنى البيتين، فقلت لها: يعنى عجبا لمن يعبر من لسان مستحر عاجز عن تعبير ما يريده، وأن الصمت خير من عدم فهم ما نقوله فى حديثنا، فقالت لى: وما يتوقف الأمر عند هذا الحد يا بنى، اعلم يا بنى أن الاحترام واجب أخلاقى بين كل البشر سواء ترتبط برحم أو علاقة عدم،

وخصوصا احترام الكبار فى السن، كما قلت لك من قبل، نعم لقد علمتنى جدتى أن كبر الصغار لا يعنى نمو سيقانهم، فليس كل ما امتدت سيقانه يقاس كبره، فالسيقان تحمل الأجساد وهذا دورها، وليس دور نمو سيقان الصغار أن تمتد فى وجوه الكبار، ثم اتبعت جدتى: هل فهمت بيت الشعر يا بنى؟ فقلت: لها نعم، فقالت يا بنى حين تمتد السيقان ويستحر اللسان فأعلم غياب الأخلاق، فثورة الأخلاق يا بنى هى فى أناقة اللسان، وليست فى طول ساق أو فى درجة علمية أو فى قرابة رحم، إنما فى دماثة الخلق وعفة اللسان الذى يدرك ما يقول، وفى أدب حوار، لا أدب فى شجار، واحترام الكبار وتعليم الصغار، فهى مسئولية الكبار، إن التمعن فى كلام الآخرين والبعد عن التجريح، أو الاساءة، والتعرض لسمعة الآخرين يعد تشويها أمره غير مقبول بالعامة فما بالك يا بنى بالخاصة **{وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. (الأنفال: ٧٥)** يا بنى ان من يتطاول بلسانه نسى أن الله قد منحه لسانا يحاسب عليه، ولم يستخدمه فى حمد ربه، والله قادر على أن يخلقه أخرس وأبكم، ولكن بدلا من استخدام لسانه فى الخير استخدمه فى الازدراء، فعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال» : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه» رواه البخارى ومسلم. يا بنى إن لم يعلم المرء ما يقول هى مصيبة كبرى والصمت مفضل فى كل الحالات، والكلمة الطيبة صدقة والدعاء بالهداية هو من مفاتيح درأ باب الشيطان **{الشيطان يعدكم الفقرويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم}** ٢٦٨**{يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب}. (البقرة- ٢٦٩)** . يا بنى، إن الكلمة إذا أطلقت من اللسان كالطلقة لا ترد، وإن اللفظة تخرج من مستودع الضمير، لتخبرنا عن مكنون السرائر، وهى تكشف قدرا كبيرا من ذكاء أو غباء المتكلم، ولا تنسى يا بنى أن الكلام حين يخرج تشاهده ألف عين، فاحذر من كلمات مشوهة، أمام عيون عوراء فى الظلام تتصيد خطأ الكلمة. فرجاحة العقل يا بنى هى عنوان لسانك، ولا تحكم على نفسك وإنما يحكم عليك الآخرون، واعلم يا بنى أن الإنسان ليس بطول ساقه ولا علمه ولا كبره ولا

صغره إنما بأخلاقه، وفهمه لما يقول، وأن باب الأخلاق مفتوح لا يدركه الحمقى أو الجهلاء، إن الجهل ينصب فى حالات كثيرة من الآباء على أولادهم، حين يعجز تعبيرهم اللفظى عن إيصال مدرك اللفظة بما يفيد المعنى، إنها اشتقاق من الثقافة المتوارثة، يا بنى إن حالة المرء الشاقة فى لسانه، وإذا أردنا حلا جذريا فلنتفقه فى الآية التالية **وانك لعلى خلق عظيم – سورة القلم ٤**، وتذكر يا بنى قول الله تعالى: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. (الأعراف -١٩٩ -٢٠٠)**.

سكتت جدتى وقلت لها: أما نكمل حديثنا عن المواريث؟ فقالت: يا بنى إن معالجة الكلام بين الأرحام أولا خير من أن نناقش الميراث اليوم حتى لا يدخلوا مبارزة على ميراث لا يملكونه. عليك يا بنى أن تفهم ما قلته اليوم، وألا تدخل بيت العنكبوت كما قلت لك فى دروسى السابقة.

المقال السادس عشر
حجب الحرمان

تأخرت قليلا على موعد جدتى، ورأيتها كعادتها تجلس، وتسبح، فألقيت التحية بالسلام على جدتى، وجلست بجوارها وسألتها: يا جدتى، كما رأيتك دوما تسبيحين فلماذا نسبح؟ فقالت يا بنى لا يخفى علينا فضل التسبيح فى قصة سيدنا يونس عليه السلام إذ قال فيه تعالى «**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِه إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**»، وهنا يا بنى وصف الله يونس بأنه كان من المسبحين، أى انه كان كثير التسبيح قبل وقوعه فى هذه الشدة العصيبة والكرب، فالدعاء يا بنى والتسبيح كان سببا لاستجابة دعائه وهذا أهمية التسبيح، وهذا تذكير لعباد الله، فيونس انقطعت به الأسباب إلا من خالقه وهو بطن الحوت، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت سعد بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « اسْمُ اللهِ الَّذِى إِذَا دُعِى بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، دَعْوَة يُونُسَ بْنِ مَتَّى، قال: فقلت: يا رسول الله، هى ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هِى لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خَاصَّةً، وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّة إِذَا دَعَوْا بِهَا، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}**. (الأنبياء–٨٨) فهو شرط الله لمن دعاه بها. واعتدلت جدتى وقالت: يا بنى أوصيك بالتسبيح والدعاء، فقلت لها: وما عندك اليوم يا جدتى؟ فقالت: سأتناول اليوم جزءا من سبعة عشر جزءا فى حجب الحرمان، فقلت لها يا جدتى كثيرا ما يختلط على أمر المواريث. فقالت: الأمر سهل يا بنى، سبح ربك كثيرا يا بنى وزادت فى كلامها كما ذكرت لك، أولا الزوجان (رجل وامرأة) لهما أصول، أى لكل منهما أم وأب، ولكل من الأم والأب للزوجين جد وجدة لأم وأب، أما الفروع فهى الابن والابنة، ويدخل فى الفروع أولاد البنات والأولاد، أما الحواشى فهم

الأخت الشقيقة أو الأخ الشقيق لأب وابن الأخ الشقيق وابن الأخ لأب والعم الشقيق والعم لأب وابن العم الشقيق وابن العم لأب، والأخوة لأم هؤلاء هم الحواشي.

فقلت لها: يا جدتي فلنبدأ الآن نتكلم عن حجب الحرمان، قالت: يا بني والحجب قد يكون كاملا، فلا يأخذ الوارث من الميراث شيئا مطلقا، ويسمى « حجب حرمان والحجب سواء كان كاملا أو ناقصا يختلف عن الحرمان، والفرق بينهما أن الحجب يكون عند توافر أهلية الميراث عند الوارث مع وجود من يحجبه من الورثة لأنه أقرب منه، وأما الحرمان فيكون عند فقد أهلية الميراث بسبب من الأسباب المانعة للميراث كالقتل أو اختلاف الدين، فالمحجوب أهل للميراث، والمحروم ليس أهلا له، مع توافر أسباب الميراث ـ كالقرابة والزوجية ـ عند كل منهما. كما أن المحجوب يؤثر على غيره من الورثة بخلاف المحروم الذى يكون كعدمه. وحجب بشخص، وهو المراد عند الإطلاق. وهو قسمان تحدثنا من قبل عن حجب النقصان اما حجب الحرمان، وهو أن يسقط الشخص غيره بالكلية. وهو لا يدخل على ستة من الورثة إجماعا، وهم : الأبوان والزوجان والولدان (الابن والبنت) وضابطه أنه خاص بمن أدلى بنفسه إلى الميت مباشرة. فقلت لها: وما معنى أدلى؟ فقالت جدتي أدلى إلى فلانٍ برحمٍ أو بقرابةٍ : اتَّصَل به عن نَسَبٍ.

فقلت لها: يا جدتي وما هى القواعد فى الحجب؟ فقالت: يا بني استمع القواعد لحجب الحرمان فقد وضع الفقهاء قواعد يقوم عليها الحجب هى : الأولى : أن من يدلى إلى الميت بوارث يحجب حجب حرمان عند وجود ذلك الوارث، لأنه إذا اجتمع هو ومن يدلى بسببه كان هو أولى بالميراث منه، لأنه أقرب إلى الميت، ولأن البعيد إنما اتصل بالميت بسبب ذلك القريب ولقيامه مقامه، وحيث وجد الأصل لا يستحق من كان بدلا عنه.

وهذه القاعدة تسرى على العصبات من غير استثناء، فالأب يحجب الجد، والأخ الشقيق يحجب ابنه وهكذا.

وتسرى هذه القاعدة على كثير من أصحاب الفروض، فالأب يحجب الجد عن فرضه، والأم تحجب أم الأم.

ولكن لا تسرى هذه القاعدة فى بعض أحوال أصحاب الفروض كأولاد الأم بالنسبة للأم، فهم مستثنون من هذه القاعدة، فيرثون مع وجود الأم مع أنهم يدلون إلى الميت بها، لكنهم يحجبونها حجب نقصان إذا تعددوا، ويحجبهم الأب والجد مع أنهم لا يدلون بهما، لأن النص قيد ميراثهم بأن يكون الميت كلالة ليس له والد ولا ولد. سألت جدتى: ما معنى الكلالة؟ فقالت: يا بنى استمع يا بنى للآية: **{وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أو أُخْت فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فهم شركاء فِى الثُّلُثِ (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أو دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}- (النساء-١٢)**، والكلالة: هو أن يموت الرجلُ و ليس له ولد و لا والد يرثانه. فإذا نظرت للآية وتفسيرها يسألونك -أيها الرسول- عن حكم ميراث الكلالة، وهو من مات وليس له ولدٌ ولا والد، قل: الله يُبيِّن لكم الحكم فيها: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد، وله أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه فقط، فلها نصف تركته، ويرث أخوها شقيقًا كان أو لأب جميع مالها إذا ماتت وليس لها ولد ولا والد. فإن كان لمن مات كلالةً أختان فلهما الثلثان مما ترك. وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل نصيب الانثيين من أخواته. يُبيِّن الله لكم قسمة المواريث وحكم الكلالة، لئلا تضلوا عن الحقِّ فى أمر المواريث. والله عالم بعواقب الأمور، وما فيها من الخير لعباده.

الثانية : أن الأقرب يحجب الأبعد إذا كان يستحق بوصفه ونوعه. وهذه القاعدة أعم من السابقة، لأنها تشمل البعيد الذى يدلى بأقرب منه، ومن لا يدلى به، فالابن يحجب ابن الابن وإن لم يكن أباه، والبنتان تحجبان بنت الابن فى الاستحقاق بالفرض، والأخ يحجب العم ولو كان لا يدلى به، والقربى تحجب البعدى من الجدات وإن كانت لا تدلى بها، وهذه القاعدة تتحقق فى العصبات وأصحاب الفروض على السواء.

الثالثة : أن الأقوى قرابة يحجب الأضعف منه، فالأخ الشقيق يحجب الأخ لأب، والأخت لأب لا تأخذ النصف مع الأخت الشقيقة، وهكذا فى كل الأحوال التى تتحد فيها الدرجة وتختلف قوة القرابة، فإن اتحدت الدرجة اعتبر الحجب بقربها.

وفى درس اليوم يا بنى نتحدث عن الحاجب الأول الابن والابنة، فلا يرث مع الابن من تحته من أولاد الابن مطلقا، سواء كانوا ذكورا أو إناثا، وسواء أكانوا منه أو من غيره، كما لا يرث معه الأخوة مطلقا أشقاء كانوا أو لأب أو لأم، ولا الأعمام الأشقاء أو لأب وكذا يقال فى ابن الابن بالنسبة لمن تحته ولغيره وهو كالابن إرثا وحجبا وتعصيبا.

سكتت جدتى وقالت: غدا موعدنا لمعرفة الحاجب الثانى والثالث، فقلت لها إن شاء الله يا جدتى فقالت لى: لا تنس الاستغفار والذكر يا بنى فإنه يفتح العقل وينير القلب ويبعد الكرب، فقلت لها: بارك الله فيك يا جدتى وفى علمك، فردت جدتى: وبارك الله يا بنى فى كل عمل جاد ومخلص وشريف.

المقال السابع عشر
هجر صندوق الوصية

حان موعد اللقاء، وحين يأتى فأرانى سعيدا، وفى نفس الوقت مضطربا، فسألت نفسى: هل تدوم المعرفة، بمغادرة الناقل، أم أن تأثير الناقل لى يقل مع بعد المسافات؟ فجاء لى من يهمس بأذنى: مهما بعدت المسافات فإن كان المبدأ مستقرا فاعلم أن ما بداخلك لا يتغير، لكن ان جفيت ما تعلمت فأعلم أنه مجافيك، وتذكرت قول الله سبحانه وتعالى: **{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}. (الفرقان- ٣٠)**، فقلت لنفسى ما معنى الهجران؟ فجاءت الإجابة إن هَجَرَ الشيءَ أى بمعنى تركه وأَعرضَ عنه، والهجران يعنى ترك الأمر وعدم الاستماع له فتتلاشى المعانى وتمحى كما تمحى حبات الرمال الجبال، وأن اللغو فى الحديث يدخل من ضمن الهجران لأنه إعراض عن استماعه، وإذا أنا أحادث نفسى جاءت جدتى فقمت بتحيتها، فجلست واعتدلت وسبحت وقالت لى ماذا تبقى لنا؟ قلت لها: سوف نشرح باقى حجب الحرمان فقالت لى ما عليك الآن، هلا أردت أن أوصيك بأمر فقلت لها: لك ما أردت يا جدتى، فقالت: أريد يا بنى أن أخبرك بوصيتى، قبل أن أغادر، فسأوصيك فأحضر ورقة واكتب، فقالت: يا بنى أوصيك أن يحضرنى عند الموت بعض الصالحين ليذكرنى بحسن الظن بالله وتلقيننى الشهادة، وأن يدعو لى فى حضورى ولا يقولوا إلا خيراً، فإذا أنا مِت وقُبضت روحى فعليهم بتغميض عينى والدعاء لى بالرحمة والمغفرة، وأوصيهم بالصبر والرضا والاسترجاع والتجهيز وتعجيل الدفن إلا لعذر أو غرض كانتظار من يُرجى منهم الخير والصلاح للصلاة علىَّ، وأوصيهم بعدم النياحة وأنى برئ من النائحة، وأوصيهم بعدم ضرب الخدود وشق الجيوب، وأنى برئ ممن فعل ذلك.وأوصيهم بألا ينعونى نعياً منهياً عنه، وأوصى أن يُغسلنى أعرف الناس بسنة الغسل ولاسيما أن يكون من أهلى وأن يبتغى بذلك وجه الله وأن يكتم ما يراه منى ولا يُحدِث

بـه أحـدا، وأوصـى بالتصـدق مـن مـالى علـى الفقـراء والمسـاكين الآتيـة أسماؤهـم ثـم ذكـرت جدتـى بعضـا مـن الأسمـاء، حيـث أن لى الحـق فـى الوصيـة بثلـث التركـة وذلـك لغـير الـوارث ، لقـول النبـى – فيمـا رواه أبـو داود والترمـذى : «**إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث**» وأوصيهـم بقضـاء دينـى ولـو أتـى علـى مـالى كلـه فقلـت لهـا: أمـرك يـا جدتـى، فقالـت: اكتـب يـا بنـى وسـم اللّه. ثـم أملـت علـى جدتـى، إن اللّه قـد جعـل الدنيـا دار عمـل، وإن مـن فطـن الحيـاة هـو من قـرأ **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}. (البقرة-٢٥)** اعلـم يـا بنـى أن الدنيـا تنتهـى والأعمـار تنتهـى وتذكـر قـول الرسـول صلـى اللّه عليـه وسـلم: «**أَعْمَارُ أُمَّتِى مَا بَيْنَ السِتِّينَ والسَبْعِينَ وقليل مَنْهم من يَتجُاوزُ ذَلِكَ**»، فعلينـا الاسـتعداد، اسمـع يا بنـى **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}. (الأنبياء-٣٥)**. يـا بنـى اعلـم «إِذَا مَـاتَ ابْـنُ آدَمَ انْقَطَـعَ عَنْـهُ عَمَلُـهُ إِلاَّ مِـنْ ثَـلاَثٍ: صَدَقَـةٍ جَارِيَـةٍ، أو عِلْـم يُنْتَفَـعُ بِـهِ، أو وَلَـدٍ صَـالِحٍ يَدْعُـو لَـهُ»، وأعظـم مـا يحقـق ذلـك الوصيـة التـى أمـرَ اللّه بهـا ورغـب فيهـا رسـوله صلـى اللّه عليـه وسـلم، يقـول اللّه جـل وعـلا: **{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}. (البقرة- ١٨٠)**، ويقـول صلـى اللّه عليـه وسـلم: «مَـا حَـقُّ امْـرِئٍ مُسْـلِمٍ يَبِيـتُ ليلـة وعنـده شَـيْءٌ يُرِيـدُ أَنْ يُوصِـىَ فِيـهِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُـهُ عِنْـدَهُ». قـال عبـد اللّه بـن عمـر رضـى اللّه عنهمـا : مـا بـت ليلـة إلا ووصيتـى عنـدى. فاعلـم يـا بنـى ان الوصيـة واجبـة، فقلـت لهـا مـا معنـى الوصيـة فـى اللغـة؟ فقالـت: الوَصِيّـةُ هـى مـا يُوصَـى بـه، والوصيـة يذكـر بهـا مـن تعلـق فـى ذمتـه حقـوق للغـير: كحقـوق اللّه جـل وعـلا مـن الـزكاة والكفـارات فـإذا كان أخـر زكاة مالـه مـا زكـى فليوصـى بإخـراج الـزكاة للأعـوام الماضيـة، وإن كان فـى ذمتـه كفـارات فليـوصِ بأدائهـا أو حـج بيـت اللّه فريضـة فليـوصِ بمـن يـؤدى عنـه هـذه الفريضـة، وكذلـك حقـوق الآدميـين مـن الديـون والودائـع والأمانـات، يـا بنـى إن الوصيـة تشـمل علـى أن تذكـر فيهـا مـا فـى ذمتـك للغـير وأداء الأمانـات، فسـجل مـا عنـدى للغـير ومـا عنـد الغـير لى. وأملتنـى جدتـى أن هنـاك ديـون علـى بعـض الأشـخاص وأخرجـت مـا يثبـت ذلـك، فسـجلتها، وأوصـت جدتـى بـأن يقـوم أبنائهـا بطباعـة مـا أملتـه علـى مـن أحاديـث، وإعانـة الغـير فـى قضـاء الديـن، و أرادت جدتـى أن توصـى بجـزء مـن مالهـا فقالـت: اعلـم يـا بنـى أن مـن آداب

الوصية أن تكون بثلث المال فأقل فلا يجوز لمسلم أن يوصى بوصية تزيد على ثلث المال لأن فى هذه إجحافا وإضرارا بالوارث، وأعلم أن الوصية لابد أن تكون لغير الوارث أما الوارث فلا يوصى لهم لأن الله جل وعلا قسم المواريث بين الورثة وأعطى كل ذى حق حقه، فلا يجوز أن تخص وارثا بشيء من وصية زيادة على حقه الذى جعله الله له قال الله تعالى: **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}. (النساء:١٣-١٤)**. قالها بعد ما بين حقوق الورثة وأعطى كل ذى حق حقه قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ». واعلم يا بنى أن وصيتى لا يغيرها أحد من أبنائى فلا يجوز للورثة أن يغيروا وصية أبيهم أو أمهم بما يضر به قال الله جل وعلا: **{فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**. واعلم يا بنى إذا حضر غيرك الوصية بعد أن أعلنها على من يحضر وصيتى بعد إعلانها أن يدلنى على الخير وأن يحذرنى من الجور والظلم يقول الله جل وعلا: **{فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. (البقرة-١٨٢))**.

جلست جدتى تملى لى الوصية وقالت: أحضر لى فلانا وذكرتهم لى، فقلت لها: لماذا يا جدتى؟ فقالت: من آداب الوصية أن يشهد عليها، فالشهادة عليها وكتابتها وتوثيقها أمر مطلوب لأن هذا يقطع النزاع والخلاف ويجعل الأمر واضحا جليا ويسبب اجتماع الورثة وتألفهم ومحبتهم، اسمع يا بنى تعلم منى واعلم أن كتابة الوصية يجب ألا تكون وصية إضرار أو أذى فاحذر من ذلك وتذكر دوما، أن الله جل وعلا قال فى كتابه **{مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}. (البقرة-١٢)**. فقلت لها: يا جدتى، ما هى أشكال الضرر فى الوصية؟ فقالت: هناك كثير من الأضرار، أن يذكر بالوصية ان هناك فى الذمة دين ولا يكون هناك دين لأجل أن يضر بالورثة ويحرمهم ذلك الخير. أو ان يبيع بيعا رخيصا حتى يحرم الورثة، وتذكر يا بنى فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة فيحضره الموت فيضار فى وصيته فيدخل النار، وإن العبد ليعمل بالمعاصى ستين سنة فيحضره الموت فيعدل فى وصيته فيدخل الجنة». فقلت

لها: يا جدتى رأيتك تقومين بتوزيع أملاكك على أولادك، فهل هذا صحيح ؟ فقالت: يا بنى هناك من يرفض هذا السلوك فى توزيع الأموال والممتلكات على الأولاد خلال حياتهم حتى لو تم التوزيع وفق قواعد الميراث الشرعى، حيث أن الميراث الذى قررته شريعة الإسلام لا يوزع إلا بعد وفاة المورث، وهناك رأى يا بنى آخر أن ما سأقوم به من توزيع لا يعد ميراثا إنما هو هبة، لأننى أخاف من بعض النوايا، اسمع يا بنى يجوز العطية شريطة العدل دون التمييز وموافقة المجتمعين حتى لا يكون هناك كراهة، يا بنى اعلم أنه مازال فى الأبناء من لم يكمل طريق حياته، وأخاف عليهم، فقد أكمل باقى أعمامك التعليم والزواج وهناك من لم يكمل تعليمه، فلذلك أخص الصغار بعطية، فغيرهم تم الإنفاق عليهم وهم فى حالة مستقلة، إن أفضل شيء يا بنى هو التوزيع للميراث بعد الموت ولكن ما يحدث من أطماع الآخرين فى الأموال فيما بينهم أو فيما بين ما حولهم أصبح من مفاسد الدنيا، استمع يا بنى إن إنكار الحقوق هو الجحود بعينه فليسارع المدين بسداد دينه قبل أن نعرض على ربك صفا، فلن نغادر الدنيا مصطحبين خزائن المال، وهنا اختتمت جدتى حديثها: **{تلك حدود الله فلا تعتدوها}** البقرة ٢٢٩.

المقال الثامن عشر
صندوق الرحيل

جاءت جدتى، تمسك بعصاها، تحرك قدميها، كأن الأقدام تمضى تترك خلفها أثرا، ومضارع الأقدام يمضى فى سجل الحياة، وتترك أثرا بأقدام الماضى، وكم من صفحات أقدام تطويها خفاف قدم، نظرت لعينيها تملأها الدمع، دمع مذهب من قطرات الجفون، فقالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرددت السلام على جدتى وأجلستها فقالت: الحمد لله وحده نحمده ونشكره، و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم، ربنا لا فهم لنا إلا ما فهمتنا، إنك أنت الجواد الكريم، الخبير، ربى اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقه قولى، فقلت لها: كيف حالك اليوم يا جدتى؟ فقالت: نحمد الله فى كل أمر، يا بنى إن الفراق أصعب ما فى الوجود، إنه فراق المرغمين، ليس فراق الدنيا باختيارك، ولكن فراق موعدك، فلا تحزن على من تفارقه فى الدنيا، وادع الله أن تلتقى به، فى عالم الآخرة وأنشدت كلماتها:

كم بالقلب فارقت نبضاته منك وترا

فيا ليت ما أحببت أن أغمض الجفنا

إن كنت تدرى ما الفراق أتعب البدنا

ما كنت يوما تفارقنى ولغالبك وسنا

فمعذب الدنيا من ترك قرآنه هجرا

قلت لها: يا جدتى لم الحزن يبدو؟ فقالت: إن الغد ما نعلم كيف يغدو، نسير فى الدنيا، ونترك خلفنا كمن فيه أمر، فاقبض على دينك فهناك يوم يأتى، من يمسك دينه كمن يمسك حباته كالجمر، اسمع يا بنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتى زمانٌ على أمتى القابض على دينه كالقابض على جمرة من النار»، فتمسك يا بنى بكتاب الله، واقرأ فى سنة نبيك وخالط العلماء والفقهاء، وإن اختلفت فاستفت قلبك يا بنى، سيأتى يوم تكثر فيه الفتن، ويزيد الأذى، وعلى العاقل أن يتصبر، ولا تترك صلاتك، واعلم أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله، فقلت لها: تبدين وكأنك تفارقيننى يا جدتى؟ فقالت: أيبقى عليها بشر؟ فالموت كأس يا بنى وكل الناس شاربه، فقلت لها يا جدتى تبكينى كلماتك، فقالت الدمع تبكى بالفراق، واللسان من الفراق يتمم حمدا إن كان بذكر الله وصلا فلا ينقطع لسانك عن الحمد والتسبيح، فقلت لها: وماذا عن باقى الفروض وأنواع الحجب فى الميراث يا جدتى؟ قالت لقد وضعت لك نسخة فى الصندوق كى تعود إليها، فقلت لها: أوصينى يا جدتى، فقالت: يا بنى قل كما قال رسول الله: «سلوا الله العافية»، وتذكر قول رسول الله: «اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالي» يا بنى اعلم أن (من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه) فقلت لها وما يعنى ينسأ فقالت يعنى أطال فى عمره. وهنا طلبت جدتى أن أرافقها إلى غرفتها، فقلت لها: أما نكمل يا جدتى، فقالت: عليك بالصندوق، افتحه واقرأ ما فيه فما عدت صغيرا، وأوصيك يا بنى ألا تغادر قراءة القرآن يوما ولو آية واحده، ودوما تذكر الله، وسبح بحمده، واجعل الرضى فى كلامك، وتذكر قول الله. **(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:٢٨)**، دخلت مع جدتى، وأشارت إلى أن أضعها على السرير، اتكأت جدتى على السرير، وإذ بها تغيب عن الدنيا، ناديت عليها فلم تسمعنى، فناديتها، وقلت لها: يا أم العلم أناديك، من يسامرنى بعد اليوم من يحاكيك، يا فضلا من العلم علما

كيف أبكيك، إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا جدتى لمحزونون. لقنت جدتى الشهادة مرات عديدة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ووجهت جدتى إلى القبلة حيث باطن القدمين إلى القبلة، وقرأت العديلة وقد علمتنى جدتى أن العدلية تعنى العدول عن الحق إلى الباطل فى وقت الموت، حيث يحضر الشيطان عند المحتضر ويوسوس للإنسان حتى يوقعه فى الشك فيخرجه من إيمانه، فيكفر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وأئمته رضى الله عنهم بعدما كان مؤمناً بهم فى حياته، أو قد يغلب على قلبه شهوة من شهوات الدنيا فيعترض مستنكراً على القدر الإلهى الذى قضى بموته وفراق أحبابه وأمواله وباقى ملذات الدنيا، فقلت وبدأت أقرأ عليها العدلية الصغيرة. واتبعتها بالعدلية الكبيرة وقد أوصتنى جدتى عند خروج الروح لا تمس، وعدم حضور الجنب والحائض وأن تبقى منفردة، ويمنع الكلام الزائد، وأن يخلى النساء حولها لئلا يصرخن، وقد قمت بتغميض العين وتطبيق الفم، وشد الفك، وتغطيتها، ومد يديها إلى الجانبين، وحيث إن الوقت كان ليلا، فقمت بإسراج الليل، وقمت بإخطار أهل البيت لإعلام باقى الأهل، وقد أوصتنى جدتى أنه يستحب قراءة الحمد والمعوذتين والإخلاص وآية الكرسى عند وضعها فى قبرها، وتلقينها الشهادتين، أوصتنى بقراءة الأدعية عند دفنها، وهذا ما ندعو به.

بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، اللهم أفسح له فى قبره وألحقه بنبيه، اللهم إن كان محسنا فزِدْ فى إحسانه، وإن كان مسيئا فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه، اللهم جاف الأرض عن جنبيه وصاعِدْ عمله ولقِّه منك رضوانا. تركنا القبر فقلت: بسم الله وفى سبيل الله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، اللهم هذا عبدك ابن عبدك، نزل بك، وأنت خير منزول به اللهم افسح له فى قبره، وأَلْحِقْه بنبيه، اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيرا وأنت أعلم به اللهم صِل وحدته، وآنِس وحشته، وأسكِن إليه من رحمتك رحمة تغنيه عن رحمة مَن سواك. تركنا القبر فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، اللهم ارفع درجته فى أعلى عليين واخلف على عقبه فى الغابرين، وعندك نحتسبه يا رب العالمين، اللهم هذا عبدك فلان وابن عبدك، قد نزل بك وأنت خير منزول به، قد احتاج إلى رحمتك، اللهم

ولا نعلم منه إلا خيرا، وأنت أعلم بسريرته ونحن الشهداء بعلانيته، اللهم فجاف الأرض عن جنبيه، ولقِّنه حجته، واجعل هذا اليوم خير يوم أتى عليه، واجعل هذا القبر خير بيت نزل فيه، وصيِّره إلى خير مما كان فيه، ووسِّع له فى مدخله، وآنس وحشته واغفر ذنبه، ولا تحرمنا أجره، ولا تُضلنا بعده.

بدأنا فى مراسم العزاء، وتذكرت فقلت فى نفسى: هناك لحظة فارقه يتمنى المرء أن يعود الحياة ليسجل فى كتابه كثيرا من الخير، إلى جنة الخلد يا جدتى.